

البابا شنودة الثالث

الخصائص

في

المفهوم الأزثوذكسى



البابا شنودة الثالث

الخلاص

في

المفهوم الأرثوذكسي
للجزء الأول

SALVATION

In the Orthodox Concept

by H.H. Pope Shenouda III

6th print

Oct. 1988

Cairo

الطبعة السادسة

أكتوبر ١٩٨٨

القاهرة



قراصة البابا شنودة الثالث

محتويات الكتاب

صفحة

٧ تصدير الطبعة الثالثة

٨ تصدير الطبعة الأولى

٩ مقدمة : خطورة إستخدام الآية الواحدة

١٧ الفصل الأول : لا خلاص إلا بدم المسيح
شروط إستحقاق الدم :

الإيمان .

المعمودية .

الأسرار اللازمة .

الأعمال الصالحة .

٣٩ الفصل الثاني : أهمية الأعمال في موضوع الخلاص

الأعمال الشريرة تؤدي إلى الهلاك .

الدينونة ... حسب الأعمال .

الأعمال ثمار لازمة للإيمان .

الأعمال برهان على الولادة من الله .

أهمية السلوك والأعمال الصالحة .

٥٦ الفصل الثالث : الجهاد والنعمة

٦٨ الفصل الرابع : الثقة وضماني الملكوت

ما هي حدود الرجاء في مراحم الله .

شروط الثقة كما يشرحها يوحنا الرسول .

الثقة واليقين في رسائل بولس الرسول .

٨٥ الفصل الخامس : هل يمكن أن يهلك المؤمن

الإثباتات الثمانية .

الاعتراضات العشرة والرد عليها .

متى نصل إلى الخلاص .

١١٠ الفصل السادس : إجابة الأسئلة

الإختصار .

جهاد اللص اليميني .

كيف خلصوا بدون عماد .

باسم الأب والابن والروح القدس
الإله الواحد أمين

تصدير

هذا الكتاب هو ثمرة ثمرة محاضرتين ألقاهما نيافة الأنبا شنودة (البابا شنودة الثالث) في مؤتمر خدام الوجه البحري المنعقد في بنها خلال شهرى مارس وأبريل سنة ١٩٦٧ ، حينما كان أسقفاً للتعليم .

وقد طبع في يونيو ١٩٦٧ ، وطلب القراء إعادة طبعه مراراً، فأعيد نشره بمجلة الكرازة سنة ١٩٧٧ . ثم أعيد طبعه للمرة الثالثة في نوفمبر ١٩٨٠ .

وكان قداسة البابا يريد تأجيل طبع هذا الكتاب ، ريثما يعدله ليناسب ما ظهر من أفكار خلال هذه السنوات ، ولكن بناء على الحاج الجماهير ، سمح بإعادة طبعه كما هو ، على أن يكون مجرد الجزء الأول من مجموعة كتب يصدرها عن الخلاص ، يتعرض فيها لشرح الإيمان السليم في هذا الموضوع ، ويرد على المفاهيم المخالفة له .

فالى اللقاء مع كتب أخرى لشرح هذا الموضوع ... مع الاجابة عن أسئلة الناس والرد على ما يثار من أفكار وشكوك .

لجنة أصدقاء الكلية الاكليريكية

تصدير الطبعة الأولى

لنيافة الأنبا غريغوريوس

قال نيافته في مقدمة الكتاب سنة ١٩٦٧ :

هذا البحث الذى كتبه نيافة الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية، بحث يمتاز بالوضوح والدقة والشمول، في موضوع من أهم الموضوعات التى تشغل أذهان المؤمنين في كل العصور ، لأنه يتصل بقضية «الخلاص» وهى غاية الايمان، وتاج الرجاء المسيحى . .

فيه ترى التعليم الأرثوذكسى القويم، مؤيداً بمنطق سليم واستخدام صحيح للنصوص المقدسة ، كاشفاً الأغاليط . . .

اننى أشهد أن هذا الكتاب القيم أمكن أن يعالج موضوع «الخلاص» لأول مرة معالجة وافية ، تكفى لأن تعطى صورة مشرفة صادقة لتعليم كنيستنا الأرثوذكسية في مشكلة الخلاص .

غريغوريوس

بنعمة الله أسقف عام

للدراستات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

مقدمه

خطورة استخدام "الآية الواحدة" !

في موضوع الخلاص أيها الاخوة - كما في أى موضوع آخر -
احترسوا جداً من خطورة استخدام آية واحدة من الكتاب المقدس -
ان الكتاب المقدس ليس هو مجرد آية أو آيات ، وانما هو روح معينة
تتمشى في الكتاب كله .

الشخص الجاهل يضع أمامه آية واحدة ، أو أجزاء من آية ، فاصلاً
اياتها عن ظروفها وملابساتها وعن المعنى العام كله ، أما الباحث
الحكيم ، الذى يتوخى الحق ، فانه يجمع كل النصوص التى تتعلق
بموضوع بحثه ، ويرى على أى شئ تدل ..

وفي موضوع الخلاص ، نرى أمثلة من خطورة الآية الواحدة :

آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل
بيتك (أع ١٦ : ٣١) .



هذه الآية يتخذها البعض برهاناً على الخلاص بالايمان فقط !!
لأن فيها يقول بولس الرسول لسجان فيلبى : « آمن ... فتخلص ... »
(أع ١٦ : ٣١) . وينسى الذين يستخدمون هذه الآية عدة أمور هى :
لمن قيلت ؟ - وتكملة الآية ؟ - وماذا حدث بعدها ؟ - والآيات
الأخرى المتعلقة بالموضوع .

١ - أولاً : قيلت هذه الآية لرجل أمى ، غير مؤمن ، مهما فعل من
أعمال صالحة فلن تجديه شيئاً بدون الايمان بالمسيح !! لذلك كان لا بد
من ارشاده الى الخطوة الأولى التى بدونها لا يمكن أن ينال شيئاً من
الخلاص . فإذا خطا هذه الخطوة ، يمكن ارشاده الى ما يتلوها من
خطوات ... لم يكن مناسباً أن يكلم الرسولان هذا السجان عن أهمية

الأعمال الصالحة ، لأنها بالنسبة اليه لا يمكن أن تفيده وهو غير مؤمن . . . والوضع السليم أن يتدرجا معه خطوة خطوة ، حتى يصل .

٢ - والخطوة الأولى تستخدم أحيانا في الكتاب المقدس للدلالة على العمل كله الذى يبدأ بتلك الخطوة .

مثال ذلك قول سمعان الشيخ عندما حمل المسيح الطفل بين ذراعيه : « الآن يارب تطلق عبدك حسب قولك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك . . . » (لو ٢ : ٢٨ - ٣١) بينما أن سمعان الشيخ لم يبصر خلاص الرب الذى لم يتم الا بدم المسيح على الصليب عندما دفع الرب ثمن الخطيئة بموته عنا !! ولكن سمعان أبصر فقط تجسد الرب وميلاده . ولما كان تجسد الرب هو الخطوة التنفيذية الأولى التى تؤدى الى الخلاص ، لذلك قال سمعان الشيخ في ثقة : « لأن عينى قد أبصرتا خلاصك . . . » .

وبهذا الأسلوب تقريبا ، تحدث بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، ليس عن أن ايمانه فقط هو الذى سيخلصه ويخلص أهل بيته ، وانما على أنه الخطوة الأولى التى تؤدى الى كل ذلك .

ولعله بهذا الأسلوب أيضاً ، لما وعد زكا بأن يرد ما سلبه من الناس أربعة أضعاف ، قال له الرب : «اليوم حصل خلاص لهذا البيت» (لو ١٩ : ٩) . . . أى أن توبة زكا هى الخطوة الأولى التى تؤدى الى خلاص البيت . .

٣ - وأكبر دليل على أن المقصود بهذا الخلاص هو الخطوة الأولى المؤدية اليه ، هو قول الرسول لهذا السجان : « فتخلص أنت وأهل بيتك » .

اذ كيف يمكن أن يخلص أهل بيته بمجرد ايمانه ؟! هل ايمان انسان يخلص شخصاً آخر ؟! ولكن الوضع السليم هو أن ايمان هذا الشخص هو مجرد الخطوة الأولى التى ستقوده الى الخلاص عندما يعتمد باسم يسوع المسيح ، وأيضاً سيقنع أسرته بالايمان ويكون فاتحة خير للأسرة ، وهكذا يخلص هو وأهل بيته . . .

٤ - ولذلك نرى أن هذه الآية كان لها تكملة ، اذ يقول الكتاب أن بولس وسيلا « كلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب . . . واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون » .

٥ - ونحن اذا أخذنا هذه الآية : « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ، انما يجب أن نضع الى جوارها آيات أخرى لنكمل فهم الموضوع ، وسأذكر لكم مثالا بسيطا له دلالة القوية :

تقدم شاب الى السيد المسيح ليسأله : « أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ » (مت ١٩ : ١٦) ، فلم يقل له السيد المسيح : « آمن فتخلص » ، وانما قال له : « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » .

هل نجرؤ نحن ونقول أن مجرد حفظ الوصايا كاف للخلاص ، بدون ايمان ، وبدون معمودية ، وبدون أسرار ؟!! كلا اننا لا يمكن أن نخطيء الى أنفسنا ولا الى الناس ولا الى الايمان ذاته باستخدام الآية الواحدة ...

في هذا المثال أيضاً نجد أن الشاب عندما قال عن الوصايا : « هذه حفظتها منذ حدثت ، فماذا يعوزنى بعد ؟ » حينئذ قال له ربنا يسوع . ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعنى » . هنا أيضاً لم يحدثه السيد المسيح عن الايمان . ولا عن النعمة ... فهل نستخدم نحن هذا المثال لنقل من قيمة الايمان ، اذ لم يرد له ذكر في حديث الرب عن نوال الحياة الأبدية ؟!

كلا ، حاشا لنا أن نفعل هذا ونستخدم الآية الواحدة ، فلكل مجال الكلام اللائق به . وفي هذا المثال كلم الرب الشاب الغنى بما يناسب حالته وبما يعالج أمراضه الداخلية الأصلية ...

نتناول آية أخرى من التى يستخدمها البروتستانت ومن يجرى في مجراهم ...

« فاذا قد تبررنا بالايمان ، لنا سلام مع الله »

(رو ٥ : ١)



يأتيك انسان من الذين يهتمون بالآية الواحدة ، ويقول لك : هوذا أمامك آية صريحة تقول ان تبررنا بالايمان ، فلا داعى لأن تجادل أو تفتح فمك ! هل تنكر الآية أو تعارض كلام الله ! ..

لا يا اخي ، نحن لا ننكر الآية ، ولا نعارض كلام الله • ولكننا نضع الى جوار هذه الآية آية أخرى من نفس رسالة بولس الرسول الى أهل رومية ، ونرى ماذا يمكن أن نفهمه من الآية • يقول الرسول : « لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله ، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » (رو ٢ : ١٣) •

هنا كلام عن تبرير من يعمل بالناموس ، هل نسمح لأنفسنا أن نغطيء ونستخدم الآية الواحدة ، ونقول أن الأعمال وحدها هي التي تخلص ، معتمدين على قول الرسول : « بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » ؟ كلا ، بل نحن نضع الآيتين معاً (رو ٢ : ١٣) ، (رو ٥ : ١) • ونخرج بتعليم صحيح يتفق مع كلام الله ، وهو أن عمل الايمان في التبرير لا ينكر أهمية الأعمال ، ولزوم الأعمال للتبرير لا ينكر قيمة الايمان •••

هذه الآية التي تقول « اذ قد تبررنا بالايمان » ، نضع الى جوارها آية أخرى هي « ترون اذن أنه بالأعمال يتبرر الانسان ، لا بالايمان وحده • كذلك راحب الزانية أيضاً ، أما تبررت بالأعمال ، اذ قبلت الرسل واخرجتهم في طريق آخر » (يع ٢ : ٢٤ ، ٢٥) •
نأخذ آية أخرى :

« ••• وأما الذي لا يعمل ، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ، فايما نه يحسب له برأ » (رو٤:٥)



فهل تعنى هذه الآية أن الله يبرر الفاجر اذا ثبت في فجوره دون عمل التوبة ؟! حاشا • اذن لكى نفهم هذه الآية فلنضع أمامها آيات أخرى توضحها • ولنبدأ بآية من نفس الرسالة الى رومية حيث يقول الرسول (١ : ١٨) « لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وأثمهم » •

نضيف اليها آية أخرى من الرسالة الثانية لبطرس الرسول : « واذ رمد مدينتى سدوم وعمورة ، حكم عليهما بالانقلاب ، واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا » (٢ بط ٢ : ٦) • وهكذا أظهر لنا الرسول أن الفاجر يشترك في مصير سدوم وعمورة •

وهذا أيضاً يشرحه معلمنا يهوذا الرسول اذ يقول : « وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم » ، قائلا : « هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ، ويعاقب جميع فجورهم ، على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها » (يه ١٤ ، ١٥) .

لا يمكن أن نفهم اذن من الآية التي قالها بولس الرسول أنه يكفي للفاجر أن يؤمن فقط لكي يخلص ، مع بقائه في فجوره . فان بولس نفسه أئذنا في صراحة تامة قائلا : « لا تضلوا . لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مابونون ، ولا مضاجعو ذكور . . . يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦ : ٩ ، ١٠) .

أما عبارة « لا يعمل » فلعل المقصود بها هنا أعمال الناموس الطقسية ، كالتحтан بالذات كما يظهر من باقى النص (رو ٦ : ٥-١٢)

لا يصح مطلقاً أيها الأحباء أن نسير بطريقة الآية الواحدة ، فهي طريقة خاطئة وخطر وغير أرثوذكسية .

ان أتاك أحد في يوم من الأيام بآية من الآيات، مهما كانت صريحة وواضحة ، فقل له : أنا لا تنفعنى الآية الواحدة . لنضع أمامنا جميع النصوص التي تتعلق بهذا الموضوع ، ثم نتفاهم معاً . احترسوا من أن تغدعكم الآية الواحدة، فربما لها مناسبة معينة، وربما لها تكملة، وهذه التكملة هي التي توضح معناها . وسأضرب لكم لذلك بعض الأمثلة :

آيات ، تكملتها توضيحها

يقول بولس الرسول في رسالته الى أفسس (٢ : ٩) :

« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان . وذلك ليس منكم ، هو عطية الله . ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد » .

هذه آية تبدو صريحة . ولكن تمهل قليلا واقرا الآية التي بعدها مباشرة (أفسس ٢ : ١٠) ، يقول : « لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها » . اذن لا يليق أن نخطف آية ونجرى قائلين في خفة : ان الموضوع قد انتهى .

● لتأخذ مثالا آخر - يقول بولس الرسول :

« فان كان بالنعمة ، فليس بعد الأعمال ، والا فليست النعمة بعد نعمة (رو ١١ : ٦) » .

ما أجمل أن نتروى قليلا ، ونتابع ما يقوله الرسول في نفس الاصحاح ، حيث يستطرد : «... أنت يايمان ثبت - لا تستكبر بل خف - لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية ، فلعله لا يشفق علينا أيضا - فهوذا لطف الله وصرامته ، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا - وأما اللطف فلك ، ان ثبت في اللطف ، والا فانت أيضا ستقطع » (رو ١١ : ١٠ - ٢٢) .

ما معنى هذا الكلام ؟ - معناه أنك نلت خلاصاً بدم المسيح ، ولكن يجب أن تثبت فيه ، والا فانك ستفقده اذا لم تعمل أعمالا تليق بالتوبة . لأن الغصن الذى يقطع من الشجرة يهلك ويموت .

● مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« فاين الافتخار ؟ - قد انتفى ، بأى ناموس ، أبناموس الأعمال ؟ - كلا ، بل بناموس الايمان . اننا نحسب أن الانسان يتبرر بالايمان دون أعمال الناموس » (رو ٣ : ٢٧ ، ٢٨) .

ان قرأنا آية مثل هذه ، فلا يصح أن نتسرع ، بل نتابع القراءة لنرى ماذا يقول الرسول بعدها . انه يستطرد قائلا بعد هذه الآية مباشرة : « أفنبطل الناموس بالايمان حاشا ، بل ثبت الناموس » (رو ٣ : ٣١) .

● مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس ... » (تى ٣ : ٤ - ٦) .

لاحظوا أن هذه الآية بالذات تتحدث عن الخلاص بالمعمودية وعمل الروح القدس - أما من جهة الأعمال ، فاننا اذا اكملنا ما يقوله الرسول نجده يستطرد مباشرة : « صادقة هي الكلمة ، وأريد أن تقرر هذه الأمور لكى يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالا حسنة . فان هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس » (تى ٣ : ٨) .

اننى ايتها الاخوة الاحباء لست في المقدمة اناقش موضوع الايمان
والأعمال ، فموعدده في هذه المحاضرة لم يأت بعد • انما أريد فقط أن
أوجه الاهتمام الى هذه القاعدة وحدها وهى خطورة استخدام الآية
الواحدة •

ونحن أنفسنا ، لا نسمح لذواتنا بتاتا أن نستخدم هذه الطريقة
المخطئة الضارة •

اننا لا نستغل « الآية الواحدة » لصالحنا

فمثلا ان وجدنا يوحنا الرسول يقول :

● « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود
منه » (١ يو ٢ : ٢٩) •

ان قرأنا مثل هذه الآية ، فلا يمكن ان نقول أن الولادة الجديدة
تتوقف على الأعمال وحدها ، وانما مع هذه الآية نذكر الايمان
والمعمودية وأسرار الكنيسة التى لم تتضمنها الآية مطلقاً من حيث
اللفظ •

وبالمثل أيضاً اذا قرأنا ليوحنا الرسول قوله :

● « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لأننا نحب
الاخوة » (١ يو ٣ : ١٤) •

فلا يمكن أن نتخذ هذه الآية دليلا على أن المحبة وحدها كافية
لتخليص الانسان ، ونقله من الموت الى الحياة !! •

وكذلك بنفس الأسلوب لا يمكن أن نستعمل الآية التى تقول :

● « الله محبة • ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه »
(١ يو ٤ : ١٦) •

وبنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل أية آية من الآيات التى تتحدث
عن الأعمال وأهميتها، مثل قول السيد المسيح للشباب الفنى :

● « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » (مت ١٩ : ١٧) •

هل مجرد حفظ الوصايا وحده يكفى ، بدون ايمان وبدون

معمودية ١٩ • كلا ، بلا شك • أما الآية فتفهم بمعنى آخر يتفق مع
الملاحظات التي أحاطت بها •

وهكذا أيها الأحباء ، علينا أن نتذكر باستمرار - في تعرفنا على
الايمان السليم - تلك الآية الجميلة التي تقول :

● « لا الحرق بل الروح • لأن الحرق يقتل ، ولكن الروح يحيى »
(٢ كو ٣ : ٦) •

فلنبعث اذن عن مفهوم الخلاص مقتادين بروح الكتاب ، لا بحرقه ،
محاولين أن نجتمع في صعيد واحد النصوص المتعددة التي تتناول
الموضوع • لنطرق موضوعنا من جميع نواحيه لا من زاوية واحدة
فقط ، ولا في ملابسة معينة فقط •

ونصيحتي لكم أن تبعدوا عن قراءة الكتب الغريبة ، التي تبعدكم
عن الايمان السليم • ونصيحتي أيضاً أن تبحثوا الموضوع في تواضع
كثير ، لأن الاعتداد بالذات ، في الأمور اللاهوتية ، قاد كثيرين الى
الهرطقة •

بعد هذه المقدمة الوجيزة نتحدث عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي
ووسائله •

★ ★ ★

الفصل الأول

لَاخْلَاصَ إِلَّا بِدَمِ الْمَسِيحِ وَحْدَهُ

لا ايمان ولا أعمال بدون هذا الدم • ان الايمان هو ايمان بدم المسيح ، والأعمال هي أعمال مؤسسة على استحقاقات دم المسيح • وكما يقول الرسول بولس : « بدون سفك دم لا تحدث مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) •

فما هو اذن مركز دم المسيح في قضية الخلاص ؟ وما هو مركز الايمان ؟ وما هو مركز الأعمال ؟ •••

الأعمال بدون دم المسيح ••

لا يوجد خلاص الا بدم المسيح، جميع الأعمال الصالحة مهما سمت، مهما علت، مهما كملت، لا يمكن أن تخلص الانسان بدون دم المسيح • لذلك فان الأبرار الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة في العهد القديم، انتظروا هم أيضا في المجيم الى أن أخرجهم منه السيد المسيح بعبد صليبه •

ان الأعمال الصالحة وحدها لا يمكن أن تخلص الانسان بدون الايمان بدم المسيح • والا كان الوثنيون ذوو الأعمال الصالحة يخلصون بأعمالهم !! حاشا •

وكقاعدة عامة أقولها لكم :

جميع الآيات التي وردت في الكتاب المقدس تهاجم الأعمال ، هي عن الأعمال وحدها بدون دم المسيح ، أو عن أعمال الناموس (الخاصة بشريعة العهد القديم) •

لأنه بدون دم المسيح لا يمكن للأعمال أن تفيد شيئا ••

لذلك عندما يقول الرسول: «لا بأعمال في بر عملناها» (تى ٣: ٥)،
أو عندما يقول: «ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أف ٢: ٩)،
انما يقصد الأعمال وحدها بدون دم المسيح. وهكذا ان وجد انسان
يعمل اعمالا صالحة، وهو غير مؤمن، فان بر الناموس هذا لا يفيد
شيئا، وأعماله الصالحة وحدها لا تخلصه بدون الايمان.

مثل هذا الشخص غير المؤمن، تقول له: ان أعمالك كلها لا تكفى.
أمن بالرب يسوع فتخلص.

هناك فرق جوهري أساسى بين الكلام الذى يقال للمؤمن، والكلام
الذى يقال لغير المؤمن. في حديثك مع غير المؤمن، يجب أن تحطم
جميع الأعمال، كلها بدون دم المسيح لا تفيد شيئا، مثل هذا تقول
له: ان أعمالك لا تخلصك... الذى يخلصك هو دم المسيح.
ان دم المسيح هو نقطة البدء في موضوع الخلاص.

ولكن بعد أن يؤمن، ينبغى أن تحدثه عن الأعمال الصالحة التى
تليق بايمانه، لأن الايمان بدون أعمال ميت. (يع ٢: ٢٠).

لماذا لا يكون الخلاص الا بدم المسيح؟

١ - الخطية هى عصيان لله، وتعتمد على حقوقه، وعدم محبة له...
والله غير محدود، اذن فالخطية غير محدودة لأنها موجهة ضد الله غير
المحدود. ومهما عمل الانسان فان أعماله محدودة، لذلك لا تغفر
الخطية الا كفارة غير محدودة... ولا يوجد غير محدود الا الله. لذلك
لم يكن هناك حل لمفكرة الخطية سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت.
ويكون موته كفارة غير محدودة، توفي عدل الله غير المحدود، في
الاقتصاص من الخطية غير المحدودة. الموجهة ضد الله غير المحدود.

٢ - هذا الكلام ينطبق على خطيئة آدم كما ينطبق على خطية أى
انسان، لأن الخطية هى الخطية، وعدل الله هو هو، وعقاب الخطية
الذى هو الموت هو هو، كما في العهد القديم كذلك في العهد الجديد
ومعروف أن «الجميع أخطأوا وزاغوا وأعوزهم مجد الله». ليس من
يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو ٣: ٢٣، ١٢). وهكذا وقع
حكم الموت على الجميع. واستد كل قم وصار العالم كله تحت قباض
من الله (رو ٣: ١٩). ولم تعد هناك وسيلة للخلاص غير نعمة الله

تفتقدنا ، وقد افتقدتنا فعلا وخلصتنا بدم المسيح الذى به وحده
الخلاص .

٣ - من أجل هذا قال معلمنا بولس الرسول : « متبررين مجاناً
بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة بالإيمان
بدمه لاظهار برة من أجل الصفح عن الخطايا السابقة » (رو ٣ : ٢٥) .
وقال أيضاً : « الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ،
بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا » (٢ : ١ : ٩) .
وقال أيضاً : « لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته
خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٤ ، ٥) .
وقال أيضاً : « لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالإيمان . وذلك ليس منكم ،
هو عطية الله . ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٨) .
وقال أيضاً : « فان كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ، والا فليست
النعمة بعد نعمة » (رو ١١ : ٦) .

اننا نورد هذه الآيات التى يستخدمها البروتستانت ، ولا نخبتها ،
لأننا لا ننكر نعمة الله علينا ، ولا ننكر خلاص الله المجانى الذى أعطاه
لنا ، ولا ننكر أننا كنا كلنا « أمواتا بالذنوب والخطايا » (أف ٢ : ١) ،
ولولا دمه الأقدس لهلكنا جميعاً .

ولكننا نضع هذه الآيات في موضعها الحقيقى ، ونعترف أننا خلصنا
بدم المسيح .

٤ - ولكننا نقول أن دم المسيح شئ ، واستحقاق دم المسيح شئ
آخر . ان دم المسيح كاف لمغفرة خطايا العالم كله ، فهل حظى العالم
كله بالغفران ؟! لقد « أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣ : ١٦)
فهل خلص العالم كله بهذا البذل ، أم خلص فقط (كل من يؤمن به) ؟
اذن قدم المسيح موجود ، مستعد أن يخلص ، وكافى للخلاص ،
ولكن للخلاص شروطاً يجب أن تستوفي حتى يكون الخطيئة مستحقاً
لهذا الدم الذى به الخلاص . وهكذا أيضاً يقول يوحنا الحبيب في
رسالته الأولى عن المسيح أنه « كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط
بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢) . كفارة المسيح اذن غير
محدودة تكفى لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس في جميع الأجيال ،
في الماضى وفي الحاضر وفي المستقبل .

ولكن مع وجود دم المسيح هناك أشخاص هلكوا ، وأشخاص يهلكون ،
وأشخاص سيهلكون! ذلك لأن استحقاقات دم المسيح لها شروط معينة .

شروط الخلاص بدم المسيح

أريد من جهة هذه الشروط أن أضع أمامكم أربعة أمور جوهرية جداً وهي :

١ - الإيمان

٢ - المعمودية

٣ - الأسرار الكنسية اللازمة للخلاص

٤ - الأعمال الصالحة

الإيمان

١ - شرط الإيمان :

والإيمان شرط أساسي لاستحقاق دم المسيح . وهكذا قال السيد المسيح عن نفسه : « ... لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) .

وتظهر أهمية هذا الشرط لاستحقاق دم المسيح . من قول الكتاب في نفس الأصحاح من فم السيد المسيح نفسه : « الذي يؤمن به لا يدان » والذي لا يؤمن قد دين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يو ٣ : ١٨) .

ويظهر هذا الشرط أيضاً من قول يوحنا الرسول في خاتمة إنجيله : « ... وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو ٢٠ : ٣١) . هناك شرط إذن وهو أن الخلاص يكون لكم إذا آمنتم .

وبهذا وعظ بولس الرسول في أنطاكية قائلاً : « ... انه بهذا ينسأدى لكم بغفران الخطايا » وبهذا يتبرر كل من يؤمن ... » (أع ١٣ : ٣٨، ٣٩) .

وقد وضع ربنا يسوع المسيح أنه بدون شرط الايمان هذا لا يمكن أن يكون خلاص بقوله لليهود : « ان لم تؤمنوا انى انا هو تموتون في خطاياكم » (يو ٨ : ٢٤) .

ما اخطر هذه العبارة « تموتون في خطاياكم » ! دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص . ولكنه لا يمكن أن يخلصك بدونك .

يجب أن تقدم شرط الايمان ، لكى تخلص بدم المسيح . انه الشرط الاول ، ولكنه ليس الشرط الوحيد . انه الخطوة التى تؤهلك للمعمودية .

شرط الايمان هذا ورد في قول بولس وسيلا لحافظ السجن « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) .

٢ - ما هو الايمان ؟ .

ان كلمة الايمان كلمة واسعة جداً ، تدخل فيها أمور كثيرة . وان كان بولس الرسول قد قال اننا « قد تبررنا بالايمان » (رو ٥ : ١١) ، فماذا يقصد بهذا الايمان الذى قد تبررنا به ؟ .

لذلك يضع بولس الرسول امامنا سؤالاً خطيراً جداً في موضوع الايمان . اذ يقول « جربوا انفسكم ، هل أنتم في الايمان ؟ . امتحنوا انفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) . اذن لا بد أن نختبر انفسنا ونرى هل نحن حقاً في الايمان أم لا . ما هو هذا الايمان ؟ .

ايمان حى . . .

ان الايمان اللازم للخلاص لا بد أن يكون ايماناً حياً . وهذا الأمر وضعه على أكمل وجه معلمنا يعقوب الرسول اذ قال : « ان الايمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . وكرر هذا المعنى قائلاً : « لأنه كما أن الجسد بدون الروح ميت ، هكذا الايمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٦) .

ومثل هذا الايمان الميت ، أى الخالى من الأعمال ، لا يقدر أن يخلص أحداً . وهكذا يقول معلمنا يعقوب الرسول : « ما المتفعة يا اخوتى ان قال أحد أن له ايماناً ولكن ليس له أعمال ؟ هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ ! » (يع ٢ : ١٤) .

حقاً أن الرسول بولس قد قال أننا قد تبررنا بالايمان • ولكن هذا الايمان له صفتان هامتان • ايمان حى وايمان عامل • وفي هاتين الصفتين كليهما نرى الأعمال الصالحة •

ولا نلقن احداً من البروتستانت - مهما أنكر الأعمال - يستطيع في أمر الخلاص أن يعلم بالايمان غير العامل • فالرسول يقول : « ان الشياطين يؤمنون ويقشعرون » (يع ٢ : ١٩) •

فهل تقصد بالايمان أيها الأخ ايماناً من نوع ايمان الشياطين الذين ليست لهم أعمال صالحة، وانما هم يؤمنون، ويقشعرون من هول شرورهم وفسادهم !!! •••

ان عبارة الايمان الحى العامل قد تتسع في مداها حتى تشمل الحياة الروحية كلها • كيف يمكن أن تشمل الحياة الروحية كلها ••• أميلوا آذانكم أيها الاخوة الأحياء الى قول الرسول •

•• الايمان العامل بالمحبة ••

قال بولس الرسول : « لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) فماذا تعنى صفة « العامل بالمحبة » ما هى هذه المحبة ، وكيف تكون •••

ان هذه المحبة شرحها بولس الرسول ، مستدلاً عليها بجمهرة من الأعمال الصالحة ، اذ قال : « المحبة تتأني وترفق • المحبة لا تحسد • المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحقد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء » (١ كو ١٣ : ٤ - ٧) •

فاذا كان الايمان هو هذا الايمان العامل بالمحبة ، فانه سيشمل ولا شك هذه الصفات كلها ، وكلها أعمال • هنا تبدو المسيحية في جوهرها ، أنها ليست مجرد آية ، وانما هى روح وحياة (يوحنا ٦ : ٦٣) • حقاً كما قال الكتاب أن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى ••• الحرف يقول لك أن هناك شيئاً اسمه الايمان • وأما الروح فيشرح لك كنه الايمان وانه يشمل الأعمال الصالحة كلها •

فهل اخوتنا المعارضون يقصدون الايمان بهذا المعنى الواسع الذى يشمل الحياة الروحية كلها . وهل يقصدون الايمان بالمعنى الكبير الذى أشار اليه بولس الرسول في الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الى العبرانيين عند حديثه عن رجال الايمان ؟ . أم هم يقصدون مجرد الايمان خلوا من صفاته السابق ذكرها ؟!

ان كان الأمر هكذا فلنتناقش ، لكى ما نرى هل يقدر هذا الايمان أن يخلصهم حسبما تعجب يعقوب الرسول .

٣ - الايمان والمحبة . . .

ان الذين يقولون أن الايمان وحده هو الذى يبرر الانسان ، ويوقفون الايمان كعنصر قائم بذاته بعيداً عن الأعمال ، هؤلاء لا أوقفهم أنا ، بل يوقفهم بولس الرسول أمام آية جبارة هى قوله : « ان كان لى كل الايمان حتى انقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . فهل تريدون ايماناً أكثر من هذا ؟ .

وأنت أيها الأخ ، مهما ارتفعت في الايمان ، ما هى أقصى درجة ستصل اليها ؟ . هل ستصل الى كل الايمان الذى ينقل الجبال ؟ . صدقنى ، حتى لو وصلت الى هذه الدرجة أيضاً ، وليست لك محبة ، فلست شيئاً ! لا يستطيع هذا الايمان أن يخلصك أنت . . . ان كان بولس الرسول بكل ايمانه ليس شيئاً بدون المحبة ، فكم بالأولى أنت . لهذا فان الرسول وضع المحبة في درجة أعظم من الايمان . اذ قال : « أما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة وأعظمهن المحبة » (١ كو ١٣ : ١٣) .

٤ - المؤمنون ، والمختارون :

قلنا ان الايمان ينبغى أن يكون ايماناً حياً وايماناً عاملاً بالمحبة ولكن البعض يبالغ أحياناً في تعريف كلمة المؤمنين ، حتى ترادف كلمة « المختارين » .

وهكذا ينادى أمثال هؤلاء بأن المؤمن لا يمكن أن يهلك ، واذا سمعوا أو قرأوا عن مؤمن قد هلك يقولون ان هذا لم يكن مؤمناً حسب مفهومهم الخاص !! لا شك أن المختارين لا يمكن أن يهلكوا . ولكن من قال ان المؤمنين هم المختارين ؟!

ان الكتاب المقدس أعطانا معاني كثيرة لكلمة الايمان : فذكر مرة: الشياطين يؤمنون ويقشعرون (يع ٢ : ١٩) - وقال بولس الرسول في تعريفه للايمان أنه هو الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى (عب ١١ : ١) .

وقد شرح لنا الكتاب أن هناك نوعاً من الايمان الميت . ومع أنه ميت الا أن الرسول سماه ايماناً . كما أعطانا مثلاً عن الايمان الخالي من الأعمال الذي لا يقدر أن يخلص أحداً (يع ٢ : ٢٠ ، ١٤) . ومع أنه لا يقدر أن يخلص أحداً ، الا أن الرسول سماه ايماناً .

وقد ذكر الكتاب أن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله (رو ٣ : ١٢) ، فهل الجميع لم يكونوا مؤمنين ، وقد خلت الأرض من الايمان؟ أم أن الله أطلق لقب الايمان حتى على الذين يخطئون وهم مؤمنون .

ان أمثال هؤلاء الخطاة لم يحرمهم الرب من لقب المؤمنين . فقد قال الرب على لسان أرميا النبي « شعبي عمل شرين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماءً . . . شعبي قد نسيني أياماً بلا عدد » (أر ٢ : ١٣ ، ٢٢) . ومع كل هذا سماهم شعبه . كما قال على لسان أشعيا النبي : « ربيت بنين ونشأتهم أما هم فمضوا على » (أش ١ : ٢) فعلى الرغم من عصيانهم سماهم بنين . ويذكرنا هذا بما قاله عن الابن الضال « ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢٤) . فعلى الرغم من ضلاله وموته الروحي سماه ابناً .

وفي قول الرسول « وان كان لي كل الايمان حتى أنقل الجبال وليست لي محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . دليل آخر على اطلاق حالة الايمان على الانسان الخالي من المحبة الذي هو ليس شيئاً .

بل ان الرب أطلق لقب المؤمنين على الذين يشبهون البذار التي سقطت على الصخر ولما نبتت جفت . فقال : « والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفي وقت التجربة يرتدون » (لو ٨ : ١٣ ، ٦) .

وطبعاً هؤلاء المرتدين لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أن السيد المسيح له المجد لقبهم بأنهم كانوا مؤمنين الى حين . ويشبه هؤلاء طبعاً

الذين قال عنهم الرسول : « ولكن الروح يقول صريحاً أنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين ارواحاً مضلة وتعاليم شياطين » (١ : ٤ : ١) • وطبعاً هؤلاء لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أنهم عاشوا في الايمان قبل أن يرتدوا •

لعله قد وضح الآن كثيراً بأن هناك فرقاً بين الكلمتين • ان كل المختارين مؤمنون ولكن ليس كل المؤمنين مختارين ، اذ قد يرتد بعضهم عن الايمان تابعين ارواحاً مضلة وتعاليم شياطين •

على أن هذه النقطة أيها الأحياء لنا رجعة إليها بعد حين ، نتركها الآن قليلاً لكي نتحدث عن الشرط الثاني للخلاص والمدخل الأساسي له وهو المعمودية •

المعمودية

أهمية المعمودية للخلاص

تظهر أهمية المعمودية من قول السيد المسيح لنيقوديموس « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٣) • وقد شرح معنى هذه الولادة ، فأجاب على سؤال نيقوديموس بقوله « الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) •

وهذه آية صريحة تعني أنه بدون المعمودية لا يقدر الانسان أن يدخل الى الملكوت ، ولا يقدر أن يماينه • وبهذا يكون الخلاص عن طريق المعمودية التي يمهد لها الايمان •

وهكذا قال السيد المسيح في صراحة ووضوح « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) • وهكذا أيضاً عندما أرسل تلاميذه لنشر ملكوته على الأرض قال لهم « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) • وهذه الآية تدل على أن الخلاص يلزمه الايمان الذي يأتي بالتلمذة ، والمعمودية التي هي الباب المباشر ، والأعمال الصالحة بحفظ الوصايا • فلو كانت المعمودية غير لازمة للخلاص ، لكان يكفي أن يقول الرب لتلاميذه : « اذهبوا وبشروا بالايمان » بدون ذكر للمعمودية •••

ومعلمنا بولس الرسول يشرح كيف أن الخلاص يكون بالمعمودية ، وكيف أنها هي الميلاد الثاني ، بقوله في رسالته الى تلميذه تيطس أسقف كريت ، حيث يقول «ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تي ٣ : ٤ ، ٥) .

ممارسة المعمودية منذ البدء

هذا المبدأ الذي أسسه السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » اتبعته الكنيسة منذ البدء ، ففي يوم الخمسين بعد أن وقف بطرس الرسول رافعاً صوته بكلمة الايمان ، ونحس السامعون في قلوبهم ، « قال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢: ٣٧، ٣٨) . وهذه الآية صريحة في أنه يكون بالمعمودية مغفرة الخطايا . وكيف يخلص الانسان بدون مغفرة خطاياه ؟! إذن فالمعمودية لازمة لخلاص الانسان ، فيها تغفر خطاياه . وبها يمهد لقبول الروح القدس .

وعطية الروح القدس ، ننالها في السر الثاني من أسرار الكنيسة ، سر المسحة المقدسة ، أو سر الميرون . والآية السابقة تدل على هذه المعاني كلها .

في يوم الخمسين بعد أن تكلم بطرس عن المعمودية « قبلوا كلامه بفرح ، واعتمدوا ، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » . فلو كان الايمان وحده يخلص الانسان ماذا كانت الحاجة الى أن يعتمد في يوم واحد ٣٠٠٠ نفس ؟! ما كان أسهل أن يقول لهم الرسل : « ما دمتم قد آمنتم أيها الاخوة ، فاذهبوا على بركة الله ، هذا يكفي ، لقد خلصتم وانتهى الأمر » .!!

وهكذا نرى أيضاً أن الخصي الحبشي بعد أن آمن على يد فيلبس ، قال له مباشرة ماذا يمنع أن أعتمد ؟ (أع ٨ : ٣٦) - وهكذا نزل به فيلبس الى الماء فعمده . وذهب في طريقه فرحاً .

وسجان فيلبس الذي آمن على يدى بولس وسيلا « اعتمد في الحال هو والذين له أجمعين » (أع ١٦ : ٣٣) .

وكرنيليوس أيضاً الذى ظهر له ملاك الله ، وقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله ، هو أيضاً بعد أن كلمه بطرس بكلمة الحياة ، وبعد أن حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة « حينئذ أجاب بطرس : أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » (ا ع ١٠ : ٤٧، ٤٩) .

وليديا بائعة الأرجوان ، لما آمنت على يد بولس الرسول « اعتمدت هي وأهل بيتها » (ا ع ١٦ : ١٥) .

جميلة تلك العبارة التى قالها بولس الرسول عن العماد « **لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح** » (غلا ٣ : ٢٧) . اذن في المعمودية يلبس الانسان المسيح . أى خلاص أعظم من هذا . .

ان المعمودية هي الباب الذى يدخل منه الانسان الى الخلاص ، والايمان تمهيد لها .

نقول هذا لأن كثيراً من البروتستانت يظنون أن الانسان يكفيه ايمانه ليخلصه ! . . أو يظنون أن الميلاد الثانى يأتى بالايمان وليس بالمعمودية ! لا يرون أن المعمودية هي الميلاد الثانى ، على الرغم من صراحة الآية بغسل الميلاد الثانى (تى ٣ : ٥) ! .

وأيضاً على الرغم من قول الرسول في رسالته الى أفسس « **أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها** » (أف ٥ : ٢٥، ٢٦) .

« لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » . البروتستانت العبارة معناها يقدسها بالكلمة ! تاركين ومن اليهم يدعون أن هذه عبارة غسل الماء كأن لا معنى لها . .

ان « الكلمة » هنا تعنى التبشير . فماذا تعنى عبارة « غسل الماء » ؟ تعنى المعمودية التى يصل إليها الانسان بالتبشير أى بالكلمة . وهكذا تنطبق وصية السيد المسيح « **تلمذوهم . . . وعمدوهم . . .** » . « **تلمذوهم** » بالكلمة . « **وعمدوهم** » بغسل الماء .

شرح « أهمية المعمودية » لاهوتيا

ما هو جوهر التعليم المسيحي عن المعمودية كوسيلة للخلاص ؟
لماذا هي لازمة للخلاص ؟ ولماذا لا يمكن لأحد أن يخلص بدونها ؟
المسألة واضحة جداً ، نشرحها فيما يلي :

يقول الكتاب « أجرة الخطيئة هي موت » (رو ٦ : ٢٣) اذن لا بد
من الموت ، ولا بد أن طريق الخلاص يبدأ بالموت . . . ويستمر الخلاص
بالموت . . . وآخر مرحلة للخلاص تأتي بالموت . يبدأ الخلاص بالموت ،
وينتهي بالموت ، ويستمر بالموت ، لأن أجرة الخطيئة هي موت . فما
معنى هذا الكلام .

أ - بدأ الخلاص بالموت :

بدأ الخلاص بموت المسيح على الصليب ، حيث دفع ثمن الخطيئة ،
واشترانا بدمه . وكيف يصل اليك الخلاص ؟ يصل اليك بالموت .
وكيف ذلك ؟ . . . المسيح بموته أعطى الخلاص . ولكي يكون لك أنت
نصيب في هذا الخلاص ، لا بد أن تشترك مع المسيح في موته :
تموت مع المسيح ، وتقوم معه ، لكي تتمجد معه . ولذلك يقول بولس
الرسول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة الامة ، متشبهاً بموته » (في ٣ : ١٠) .

ان لم تدخل في هذا الموت ، يلحقك الموت الثاني الذي هو العذاب
الأبدى في بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٤) .

وكيف تدخل في هذا الموت ؟ كيف تشترك مع المسيح في موته ؟ ان
ذلك يتم بالمعمودية . ولهذا يقول بولس الرسول « أم تجهلون أننا
كل من اعتمد ليسوع المسيح ، اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية
للموت . . . (رو ٦ : ٣ ، ٤) .

وموتنا مع المسيح ، ودفننا معه ، هو الذي يجعلنا نشترك معه في
أمجاد قيامته . ولذلك يقول بولس الرسول « لأنه ان كنا قد صرنا
متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته . . . فان كنا قد متنا
مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٨ ، ٥) .

نلخص الموضوع اذن في الكلمات الآتية :

أجرة الخطيئة هي موت • فلا بد أن يموت الانسان ويدفن •••
ولكن المسيح قد مات عنا • وعلينا أن نشترك معه في موته ، حتى
لا تكون بعيدين عن استحقاقات موت المسيح • لا يجوز أبداً أن نترك
المسيح يموت وحده عنا ، دون أن نشترك معه في موته ، أو على الأقل
نتشبه بموته ، ندخل في « شركة الآله متشبهين بموته » وهكذا قال
الرسول : « متنا معه •• دفنا معه •• قد صرنا متحدين معه بشبه
موته •• انساننا العتيق قد صلب معه •• فان كنا قد متنا مع المسيح
نؤمن اننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٣-٨) •

وهذا الموت شرحه الكتاب أنه يتم بالمعمودية • نغطس فيها تماماً
كأننا ندفن في جرن المعمودية ، كما قال بولس : « دفنا معه بالمعمودية
للموت » (رو ٦ : ٤) • ثم نقوم من هذا الماء « في جدة الحياة »
« عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب ليبطل جسد الخطيئة » •

المعمودية اذن لازمة للخلاص ، لأنها شركة في موت المسيح ، لأنها
ايمان بالموت كوسيلة للحياة ، واعتراف بأن أجرة الخطيئة هي موت •
ان الذين يقولون أن الخلاص يتم بمجرد الايمان وحده ، بدون
معمودية ، لم يفهموا بعد ما هو الايمان • فلنحاول أن نناقش الأمر
معاً لنفهمه •

ما هو الايمان ؟ •• هو أن تؤمن أن الخطيئة أجرتها الموت، وتؤمن
أن المسيح قد مات عنك ، وتؤمن أنك يجب أن تموت معه لتحيا أيضاً
معه ••• وهكذا يقودك الايمان الى ما قلناه :

قلنا ان الخلاص قد بدأ بالموت • موت المسيح • هذا هو الخلاص
الذي قد دفع ثمنه، وقلنا أننا بدأنا أن نحصل على هذا الخلاص بالموت،
اذ متنا مع المسيح ودفنا معه بالمعمودية • هذا هو الخلاص الذي نلناه •

نقول أيضاً أن هذا الخلاص يستمر بالموت •

ب - يستمر الخلاص بالموت :

وهكذا يقول بولس الرسول : « كذلك أنتم أيضاً، احسبوا أنفسكم
أمواتاً عن الخطيئة ، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ••• اذن

لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته «
(رو ٦ : ١١ ، ١٢) .

هذا الكلام جميل جداً ، يشرح لنا الايمان الأرثوذكسي تماماً .
« لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت » . لقد دخلنا الخلاص بالموت .
ولا بد أن يستمر جسدنا مائتاً عن الشهوات العلية . وطالما هو
مائت ، فإن الخلاص يسرى فيه . أما ان بدأت شهوات الجسد تقوم
من هذا الموت وتتحرك ، فإننا نكون حينئذ عرضة لأن نفقد الخلاص ،
لأن الخلاص لا يتم الا بالموت .

لذلك فإننا نصلي الى الله في قطع الساعة التاسعة ونقول : « امت
حواسنا الجسمانية أيها المسيح الهنا ونجنا » .

ولعل هذا تنفيذ لقول الكتاب : « ولكن ان كنتم بالروح تميّتون
أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨ : ١٣) .

الا يقول بولس الرسول : « اذن الموت يعمل فينا » (٢ كو ٤ : ١٢) .
وهكذا يقول بولس الرسول أيضاً « لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً
للموت من أجل يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت »
(٢ كو ٤ : ١١) . ويقول أيضاً : « ان كان المسيح فيكم فالجسد ميت
بسبب الخطيئة ، وأما الروح فحياة بسبب البر » (رو ٨ : ١٠) .
كما يقول أيضاً : « انتا من أجلك نemat كل النهار . قد حسبنا مثل
غنم للذبيح » (رو ٨ : ٣٦) . وهكذا نعيش « حاملين في الجسد كل حين
اماتة الرب يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا »
(٢ كو ٤ : ١٠) .

اذن طالما نسير في طريق الخلاص لا بد أن يكون الجسد ميتاً عن
الخطيئة ، لا بد أن يعمل الموت فينا . انسان يقول انه قد خلص ،
وهو يحب العالم أو الأشياء التي في العالم ، هذا بالحقيقة واهم « لأن
محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) .

ان الخلاص يستمر بالموت ، موت أعمال الجسد ، موت شهوات
الجسد ، موت عن العالم والمادة وطلباتها المحاربة للروح .

ما معنى « نخلص بحياته » ؟

هنا تقف أمامنا الآية التي تقول : « لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولعنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحوه نخلص بحياته » (رو ٥ : ١٠) • ما معنى « نخلص بحياته » ؟

اما أن يكون معناها أننا نخلص بحياته كشفيح ، ككاهن الى الأبد على طقس ملكي صادق « يقدر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله ، اذ هو حي كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) • فنحن نخلص بحياته كشفيح • لأننا باستمرار نخطيء • وان أخطأنا « فلنا شفيح عند الآب ، يسوع المسيح البار » (١ يو ٢ : ١) •

ونلاحظ هنا أن استمرار شفاعة المسيح فينا ، معناه استمرار احتياجنا الى الخلاص في كل حين ، واستمرار عمل الخلاص فينا •

على أن هناك معنى جميلاً آخر لعبارة نخلص بحياته • وهو قول بولس الرسول : « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » (غلا ٢ : ٢٠) يقول : « مع المسيح صلبت » ، هذا هو الموت ، « صلب الجسد مع الأهواء والشهوات » كما يقول الرسول (غل ٥ : ٢٤) • بهذا نخلص ، عندما يكون المسيح هو الذي يحيا فينا • وعبارة « أحيا لا أنا » معناها تسليم الإرادة تسليماً كاملاً للرب • بحيث يقول الإنسان باستمرار : « لتكن لا إرادتي بل إرادتك » • يكون كأنه ميت ، غير موجود ، يحيا لا هو ، بل المسيح هو الذي يحيا فيه •

يقول للمسيح : « اننى أخلص بموتك ، وأخلص بحياتك في » • وهذه هي الفكرة السليمة عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي : نحن قد خلصنا بموت المسيح عندما متنا معه في المعمودية • ونخلص أيضاً بحياة المسيح فينا ، بتسليمنا الكامل لمشيتته في حياتنا ، قائلين مع الرسول : « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » •

ج - يتم الخلاص بالموت :

قلنا ان الخلاص يبدأ بالموت في المعمودية ، ويستمر بالموت عن شهوات العالم • فاني متى ؟ يقول الكتاب : « كن آميناً الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) • وهكذا يستمر الموت يعمل فيك ، حتى

يموت الجسد فعلاً • طالما أنت تميّت أعمال الجسد ، فانت ما تزال سائراً في الخلاص • ومتى تصل الى نهاية الطريق؟ • تصل اليها عندما تموت ، وتنتقل الى العالم الآخر •

انت اذن ما تزال سائراً في الطريق • فهل تقف في نصفه وتصيح قائلاً « قد خلصت » ؟! تواضع يا أخى ، واستمع الى قول الرسول : « انظروا الى نهاية سيرتهم » (عب ١٣ : ٧) • لا تفتخر باطلا ، فكثيرون قد بدأوا بالروح وكمّلوا بالجسد (غل ٣ : ٣) •

على أننا سنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل ان شاء الله عندما نتكلم عن اتمام الخلاص •

الأسرار اللازمة للخلاص

هناك أسرار قد لا تلزمك شخصياً لخلاصك • فانت لا تتزوج ، وان كنت ثمرة لزواج • وقد لا تصاب بمرض تحتاج فيه الى سر مسحة المرضى • وقد لا تصير كاهناً وان كنت تحتاج لسر الكهنوت ليقدم لك عمل الروح القدس في الأسرار اللازمة لك شخصياً لخلاصك • فانت يلزمك بلا شك سر المعمودية ، وقد تحدثنا عنه — كذلك يلزمك سر مسحة الروح القدس (الميرون) ، وسر التوبة ، وسر الافخارستيا (التناول) •

وستكلم الآن عن أهمية كل من هذه الأسرار على حدة :

المرسى المقدسة

ولما دعا بطرس اليهود للمعمودية ، قال لهم : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لفقران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٨) • فما هي عطية الروح القدس هذه ؟ • وهل هي لازمة في حياتنا للخلاص وما أهميتها وهل يمكن أن نخلص بدونها •

لا يمكن اطلاقاً أن نخلص بدونها ، لأن حياتنا الروحية كلها هي عبارة عن استجابة ارادتنا لعمل الروح القدس فينا • وان كنا لا نأخذ

عطية الروح القدس ، فباطلة وهالكة هي كل حياتنا عن هذه النعمة التي أخذناها من سر المسحة المقدسة نصرخ باستمرار ونقول : «روحك القدوس لا تنزعه منا ، ، ، والا هلكنا » .

ان حياتك الروحية لا تعتمد مطلقاً على ذراعك البشري ، وانما هي شركة الروح القدس كما سنشرح في الفصل الخاص بالجهد والنعمة .

لا بد اذن من سر المسحة المقدسة، تلك التي تكلم عنها يوحنا الرسول فقال : « وأما أنتم فلکم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء » . « وأما المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ، ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينا عن كل شيء، وهي حق » (١ يو ٢ : ٢٧، ٢٠) .

لكي تعرف أهمية الروح القدس لخلاصك ، نسأل سؤالاً وهو : هل تستطيع أن تحيا حياة روحية بدون عمل الروح القدس فيك ؟ . هل تستطيع أن تسير في طريق الخلاص بدون عمل الروح القدس معك ؟ . لا يمكن . اذن لا بد من المسحة .

لذلك اهتم الرسل بعطية الروح القدس للمؤمنين، وكانوا ينالونها في بادئ الأمر بوضع أيدي الرسل ، قبل أن يستخدم الميرون .

نرى ذلك واضحاً في قصة ايمان السامرة ، حيث اعتبرت مكمله لتلايمان والعماد ، يقول الكتاب : « ولما سمع الرسل الذين في اورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، اللذان لما نزلوا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع - حينئذ وضعوا الأيادي عليهم ، فقبلوا الروح القدس » (أع ٨ : ١٤-١٧) . اذن لم تكن المعمودية كافية لأهل السامرة، بل كان لابد لهم أن يقبلوا الروح القدس .

نفس الكلام أيضاً يمكن أن يقال عن ايمان أهل أفسس . لما ذهب بولس هناك وجد تلاميذ . فقال لهم : « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ » قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » (أع ١٩ : ٣، ٢) اذ كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا فقط . فلما

كلهم بولس : « اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم . حل الروح القدس عليهم » .

اننا بالمعمودية نشترك مع المسيح في موته ، وننال البنوة . وبالروح القدس نحيا الحياة اللائقة بنا كبنين وكلا الأمرين لازم لخلاصنا .

سر الافخارستيا "التناول"

لكي ندرك أهمية التناول من جسد الرب ودمه ، يكفي من باب الاختصار أن نذكر قول المسيح : « الحق الحق أقول لكم ! ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم » . من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير . . . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٣-٥٨) . هنا نرى الحياة الأبدية متعلقة بالتناول من جسد الرب . بحيث أن الذي لا يتناول لا تكون له حياة ، أي يهلك . . . أتسال بعد هذا عن لزوم التناول للخلاص ؟!

ان كنا أرثوذكس ونؤمن بالايمان الأرثوذكسي ، فنحن اذن نؤمن بما نقوله في القداس الالهى عن جسد الرب الذى نتناوله : « يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » . أيسأل أحد ويقول : « هل ممكن الخلاص بدون تناول ؟ » أقول كلا ، لا يمكن . لأن جسد الرب يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه .

فكيف نشرح هذا من الناحية اللاهوتية ؟ . .

ان المعمودية قد خلصتك من الخطيئة الأصلية . وهذا هو الخلاص الأول الذى نلته . والمعمودية قد صيرتك ابناً لله وجعلتك مستحقاً لنوال استحقاقات الدم . ولكنك في كل يوم تخطئ ، وتحتاج أن تمحى خطيئتك بالدم « ان قلنا أنه ليس لنا خطيئة ، فضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١ : ٨) . أنت اذن في كل يوم تخطئ ، وتحتاج الى جسد المسيح المذبوح عنك . تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك . وما الذبيحة المقدسة في سر الافخارستيا سوى امتداد

لذبيحة المسيح • لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها ، هذه التي تعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا • كما أن بها ثبت في الرب كما قال •

قد يأتيك انسان ويقول لك : أتريد أن تخلص •؟ اطرح نفسك تحت قدمي المسيح ، وقل له : اقبلني يا يسوع !! هذا الكلام يا اخوتي يحتاج الى اجراءات تنفيذية ••• أتريد أن يقبلك المسيح •؟ هناك طريق للخلاص يقبلك به : تموت مع المسيح وتدفن معه بالمعمودية فيقبلك • تمسح بالروح القدس فيقبلك • تأكل جسده وتشرب دمه لكي تثبت فيه وبهذا يقبلك • تعترف بخطاياك فيقبلك ••• هذا هو الطريق العملي الذي يقبلك به الرب • اما أن تطلب منه قبولك دون أن تسير في طريقه الذي رسمه ، فهذا كلام غير لائق •

وبالمثل نقول عن عبارة « سلم حياتك ليسوع » ••• ما أسهل أن يلفظ انسان مثل هذا الكلام ، وما أصعب أن ينفذه ••• هل تظنون تسليم الحياة شيء هين ؟! ان كل جهادنا الروحي يتركز في هذه العبارة « تسليم الحياة » ! ففيها يسلم الانسان ارادته للرب ، ويسلم قلبه وعواطفه ، ويسلم عزيمته ، ويسلم فكره ••• أى يعمل أعمالاً تليق بالتوبة •

وان كنا نتكلم عن سر الافخارستيا فلا بد أن نسيقه بكلام عن سر التوبة •

سر التوبة

هل تلزم التوبة للخلاص •؟ نعم بل انه بدون التوبة لا يكون لك خلاص ••• لملك تسأل : كيف هذا •؟ اننى آمننت وتعمدت وتبررت ••• نعم انك قد تعمدت ، ونجوت من الخطيئة الأصلية ، ولكن ماذا عن خطاياك الفعلية التي ترتكبها كل يوم ، أين تهرب منها •؟ وكيف تهرب منها •؟

هل الايمان والمعمودية يجعلانك لا تخطيء بعدهما أبداً •؟ كلا ، بلا شك • هوذا يوحنا الرسول يقرر بأنه « ان قلنا انه ليس لنا خطيئة نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو : ٨) • وذلك لأنه « ليس

أحد صالحاً الا واحد وهو الله » (مت ١٩ : ١٧) . « لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣ : ٢) ، وليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض كما نصلى في أوشية الراقدين ... فماذا نقول عن هذه الخطايا كلها ؟ كيف يخلص منها الانسان ؟ اليس بالتوبة ؟ -

لعل أحد يهمس في أذنك قائلاً : « آمن فقط ... آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » !! ... ان هذه الآية أيها الأخ الحبيب قد قلناها فيما مضى قبل المعمودية . أما عن خطاياك بعد المعمودية فينصحك بخصوصها يوحنا الرسول قائلاً : « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم » (١ يوا : ٩) . وعنهما يقول الكتاب : « من يكتف خطاياهم لا ينجح ... ومن يقر بها ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ١٣) ... من أجل هذا وضعت لنا الكنيسة المقدسة سر التوبة .

فما دام الانسان المؤمن معرضاً للسقوط في كل وقت ، ومعرضاً للهلاك بخطيئته على الرغم من ايمانه ، وما دام الانسان في حرب دائمة ضد الخطيئة كثيراً ما يزل فيها ويعثر ويسقط كل يوم ، لذلك وضع الله لنا التوبة نتجدد بها ونتطهر ونغتسل من خطيتنا . والتوبة عمل لا ينكر أحد من البروتستانت أهميته ولزومه ويدخل في التوبة الندم والتوب والاعتراف والعزيمة على ترك الخطيئة ، وكلها أعمال .

لا أقول انه بالتوبة وحدها يخلص الانسان ، فالتوبة بدون دم المسيح لا فائدة منها . ولكني أقول ان التوبة تجعل الانسان مستحقاً لأن يغتسل ويتطهر بدم المسيح فيخلص . دم المسيح مثل كنز عظيم ، ولكننا نقترّب اليه بالتوبة ، ونأخذ منه فنفتنى . أما اذا لم نستعمل التوبة ، فان الكنز يبقى كنزاً محتفظاً بقيمته ، ونبقى نحن بعيدين عنه ، فقراء نهلك جوعاً . حنان الآب موجود ، والثوب الجديد موجود ، والعجل المسمّن موجود ، ولكن على الابن الضال أن يقترب الى الآب بالتوبة ليحظى بكل هذه ... فلنعترف اذن بأن : « الله أعطى الأمم التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) .

ان أهمية التوبة يوضحها قول السيد المسيح له المجد : « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) .

فهذه الآية تدل على أن التوبة وسيلة للخلاص تنجي من الهلاك ، وتدل أيضاً على أنه بدون التوبة يهلك الانسان الخاطيء . « فאלه الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل » (ا ع ١٧ : ٣٠) . وليس أن يتوبوا فقط ، وانما يتبع ذلك أيضاً أن يعملوا « أعمالاً تليق بالتوبة » (ا ع ٢٦ : ٢٠) .

هذه التوبة ينادى بها الرسل والقديسين كوسيلة للخلاص من الهلاك المعد للخطاة . فبطرس الرسول يقول عن الله أنه « يتأنى علينا ، وهو لا يشاء أن يهلك أناس ، بل أن يقبل الجميع الى التوبة » (٢ بط ٣ : ٩) . فهنا مقابلة بين التوبة والهلاك ، تعنى أن من يقبل الى التوبة يخلص وينجو من الهلاك ، والعكس بالعكس

وبولس الرسول يشرح الغضب المعد لغير التائبين الذين يتعرضون لديونة الله العادلة فيقول : « أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول اناته ، غير عالم أن لطف الله انما يقتادك الى التوبة . ولكنه من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً ليوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » (ر و ٢ : ٤-٦) .

هذه التوبة لم يطلبها الله من الأمم فقط ومن غير المؤمنين ، وانما طلبها أيضاً في سفر الرؤيا من ملائكة كنائس آسيا . فقال لملاك كنيسة أفسس « فاذكر من أين سقطت وتب ، واعمل الأعمال الأولى . والا فانى آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها ان لم تتب » (ر و ٢ : ٥) . كما طلب التوبة أيضاً من ملاك كنيسة برغامس (ر و ٢ : ١٦) . وقال لملاك كنيسة ساردس : « فاذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب . فانى ان لم تسهر أقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (ر و ٣ : ٣) . وقال أيضاً لملاك كنيسة لاودكيا : « كن غيوراً وتب » (ر و ٣ : ١٩) .

لا تظن يا أخى ان خطية آدم وحده هي التي كانت تستحق الموت . وانما عموماً أجرة الخطيئة هي موت . وكل خطية ترتكبها بعد معموديتك يمكن أن تكون سبباً في هلاكك ان لم تتب .

وسر التوبة في الكنيسة يسمى أيضاً سر الاعتراف . فانت تحتاج أن تاتى وتقر بخطاياك لكى تأخذ عنها حلاً من الكاهن فتغفر لك .

وقد مارست الكنيسة المقدسة سر الاعتراف منذ البدء • ففي أيام الرسل يقول الكتاب : « كان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم » (أع ١٩ : ١٨) • وحتى قبل الرسل يقول الكتاب عن يوحنا المعمدان : « واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم » (مت ٣ : ٦) •

في طريق خلاصك اذن ، ليتك تستفيد من قول السيد المسيح لتلاميذه : « ••• اقبلوا الروح القدس • من غفرتم خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكتكم خطاياهم أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٢، ٢٣) •

الأعمال الصالحة

تكلما الآن عن الخلاص بدم المسيح ، وكيف أن استحقاق دم المسيح يلزم له الايمان والمعمودية ، وسر المسحة المقدسة ، وسر التوبة ، وسر الافخارستيا • وبقي أن نتحدث عن الأعمال ومركزها في قضية الخلاص • وقد أقردنا لهذا الموضوع فصلا خاصا لأهميته •



الفصل الثاني

اهمية الأعمال في موضوع الخلاص

مقدمة :

أعمال الانسان اما صالحة واما شريرة . فالأعمال الشريرة تهلك الانسان وتفقده خلاصه . أما الأعمال الصالحة فهي لازمة للخلاص . عدم وجودها يدل على أن الايمان ميت ، وعلى أنه لا ثمرة له . ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفي للخلاص بدون ايمان وبدون معمودية وبدون استحقاقات دم المسيح .

هذه الأعمال الصالحة هي ثمرة الايمان ، وبرهان على وجود الايمان ، وبها نكمل الايمان ، كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد . وقد طلب الله هذه الأعمال الصالحة وأمر بها ، وحدد عقوبات على من يهملها .

وستكون الدينونة في اليوم الأخير بحسب الأعمال .

ان الأعمال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها، ولكنه لا يتم بدونها . فالخلاص لا يكون الا بدم المسيح وحده، ولكن الأعمال تؤهل لاستحقاق هذا الدم .

على أنه يلزمنا أن توجه الانتباه الى أمر هام جداً وهو أن أعمال الانسان الصالحة تحتاج الى مؤازرة من النعمة . فقد قال المسيح له المجد : « بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) . فأعمالنا الصالحة هي نتيجة لاشتراك ارادتنا مع عمل الروح القدس فينا .

ان نصوص الكتاب المقدس التي تقلل من قيمة الأعمال ، هذه اما أن يكون المقصود منها هو أعمال الناموس كالتنات والممارسات

الطقسية وحفظ الأيام والشهور والأعياد وما الى ذلك، واما أن يكون المقصود منها هو مهاجمة الأعمال غير المبنية على دم المسيح وفدائه ، كأعمال غير المؤمنين والوثنيين .. الخ .. اما أعمال بدون ايمان ، أو أعمال سابقة على الايمان .

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط جميعاً واحدة فواحدة حسبما تعطى نعمة الرب من معونة .

الأعمال الشريرة تؤدي إلى الهلاك

وهذا أمر طبيعي . لأن الله كما انه كامل في رحمته ، كذلك الأمر هو أيضاً كامل في عدله . وما دامت « أجرة الخطيئة هي موت » (رو ٦ : ٢٣) . فلا بد أن ينال الخاطيء عقوبة خطيئته . حقيقى أن المسيح قدم مات عنا، ولكن لا يتمتع باستحقاق موت المسيح سوى التائبين . والا كان هذا الخلاص المجانى باباً مفتوحاً للاستهتار والفساد ، وتصريحاً بارتكاب الخطيئة دون خوف من عقوبتها ، اعتماداً على دم المسيح وكفارته التى وفّت كل شيء !!! .

لذلك يقول بولس الرسول في هذا المعنى : « فماذا نقول ؟ .. أنبقى في الخطيئة لكي تكثر النعمة ؟! حاشا . نحن الذين متنا عن الخطيئة ، كيف نعيش بعد فيها ؟! اذن لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته » (رو ٦ : ١٠-١٢) .

ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول : « فماذا اذن أنخطيء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة ؟! حاشا . أستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذى تطيعونه ، اما للخطيئة للموت أو للطاعة للبر » (رو ٦ : ١٥، ١٦) .

وفي هاتين الآيتين بين لنا الرسول أننا لو أطعنا الخطيئة - ونحن تحت النعمة - فإنها تكون طاعة للموت . وما دامت للموت ، فمعناها فقداننا للحياة الأبدية التى لنا في المسيح يسوع .

ما أهم هذه الآيات ، وخاصة لأنها كلام الوحي على لسان بولس الرسول الذى هو أكبر رسول يعتمد عليه البروتستانت في موضوع

النعمة والتبرير بالايمان ، وايضاً لأنها آيات من الرسالة الى رومية
وهي الرسالة الأولى والأساسية التي يعتمدون عليها في هذا الموضوع .
[أنظر أيضاً غلا ٢ : ١٧] .

نصوص من رسائل بولس الرسول :
ما أكثر نصوص الكتاب التي تدل على أن الأعمال الشريرة تؤدي الى
الهلاك .

● (غل ٥ : ١٩-٢١) :

« وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنا ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ،
عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ،
شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر ، وأمثال هذه التي سبق
فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت ان الذين يفعلون هذه لا يرثون
ملكوت الله » . اذن فالإيمان مع مثل هذه الأعمال الشريرة - لا يفيد
شيئاً ولا يخلص وحده الانسان ...

● (أف ٥ : ٥ ، ٦) :

« فانكم تعلمون هذا ، ان كل زان أو نجس أو طماع الذي هو
عابد للأوثان ، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله . لا يفركم أحد
بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية » .

● (١ كو ٦ : ٩ ، ١٠) :

« أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله . لا تضلوا .
لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مآبوتون ، ولا مضاجعو
ذكور ، ولا سارقون ، ولا شتامون ، ولا خاطفون ، يرثون ملكوت الله » .

● (عب ١٣ : ٤) :

« أما الماهرون والزناة فسيدنيهم الله » .

هذه آيات صريحة يقدم بها بولس الرسول ما يزيد عن عشرين
عملاً تغلق ملكوت الله أمام المؤمن إذا أخطأ ...

ويتحدث بولس الرسول - رسول النعمة والتبرير - بعنف شديد
في رسالته الى المبرانيين فيقول :

« فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما اخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيرة نارعية ان تاكل المضادين » .

« فكم عقاباً اشر تظنون انه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة . فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام انا اجازى يقول الرب ، وايضاً الرب يدين شمه . مخيف هو الوقوع فى يدي الله الحى » .

ونفس المعنى الموجود فى الآيتين الأولين يقول فى شدة ما يشبهه فى موضوع آخر من الرسالة (عب ٦ : ٤-٨) :

● (رو ١ : ٨) :

« لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم » .

● (كو ٣ : ٦،٥) :

« فاميتوا أعضاءكم التى على الأرض : الزنا ، النجاسة ، الهوى ، الشهوة الرديئة ، الطمع الذى هو عبادة الأوثان . الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المصيبة » .

● (٢ تس ١ : ٨،٩) :

« ... نعطياً نعمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب » .
نلاحظ هنا انه جعل الهلاك الأبدى عقوبة للأميرين معاً : ترك الايمان، وترك الأعمال . فعبارة «الذين لا يعرفون الله» خاصة بعدم الايمان، وعبارة «الذين لا يطيعون الانجيل» خاصة بترك الأعمال .

● (رو ٢ : ٨-١٠) :

« وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاعون للآثم، فسخط وغضب . شدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر، اليهودى أولاً ثم اليونانى . ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ، اليهودى أولاً ثم اليونانى » نلاحظ هنا أيضاً ليس فقط عقوبة الأعمال الشريرة . بل أيضاً مكافأة الأعمال الصالحة .

● تعليق

أوردنا فيما سبق آيات عن عقوبة الخطيئة ، وكيف أن المؤمن اذا أخطأ يهلك بخطيئته • وان الأعمال الشريرة تجعل الذى يخطئ لا يرث ملكوت الله ، ويقع عليه غضب الله ، ويعتبر من أبناء المعصية ، ويتعرض لدينونة مخيفة ، وغيرة نار تاكله ، ويعاقب بهلاك أبدي من وجه الرب ، وتقع على نفسه شدة وضيق ، ويدينه الله •

وكل هذا ذكره بولس الرسول ، الذى تحدث بأسهاب عن النعمة والتبرير بالايمان • وقد بدأنا وذكرنا هذه الآيات حتى على ضوءها نفهم الآيات الخاصة بالنعمة والايمان التى ذكرها بولس الرسول نفسه •• حتى لا يبدو لأحد أن لبولس الرسول تعليماً آخر ، وانما هو أيضاً علم – في كل رسالة تقريبا – بأن الخطايا تغلق ملكوت السموات ••• بل انه علم كذلك بان الأعمال الشريرة تلغى عمل الايمان • فقال في رسالته الى تيطس •

● (١ : ١٦) :

« يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه ، اذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون » •

نصوص أخرى من غير رسائل بولس الرسول :

● (٢ بط ٢ : ٤-٢٢) :

« لأنه ان كان لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ، ولم يشفق على العالم القديم ••• يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، ويحفظ الأثمة الى يوم الدين معاقبين • ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ••• فسيهلكون في فسادهم ، آخذين أجره الاثم ••• الذين قد حفظ لهم قتام الظلام الى الأبد ••• لأنه ان كانوا بعدما هربوا من رجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتكبون أيضاً فيها فينقلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشد من الأوائل • لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم • قد أصابهم ما في المثل

الصديق : « كلب قد عاد الى قيئه ، وخنزيرة مفقولة الى مراغة الحمأة » .
واضح من النصوص الأخيرة أنه يتكلم عن مؤمنين يهلكون .

● (١ بط ٤ : ١٨ ، ١٧) :

« ... فما هي نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله ... وان كان
البار بالمجد يخلص ، فالفاجر والحاطيء أين يظهران » .

● (١ أع ٥ : ٩) :

« فقال لهما بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب . هوذا
أرجل الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك خارجاً . قدخل
الشباب ووجدوها ميتة ، فحملوها خارجاً ودفنوها بجانب رجلها » .

ان هلاك حنانيا وسفيرا دليل على ان العمل الشرير يهلك ، وان
الايمان وحده لا يكفي . فقد كان الاثنان مؤمنين بالمسيح ، ولكن
قلبيهما لم يكن مستقيماً فهلكا . ويقول الكتاب انه بعد موتهما :
« صار خوف عظيم على الكنيسة ، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك » .

● (رؤ ٢١ : ٨) :

« وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ، والقاتلون ، والزناة ،
والسحرة ، وعبيدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة
المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني » .

● (رؤ ١٨ : ٧) :

« بقدر ما مجدت نفسها وتنعمت ، بقدر ذلك أعطوها عذاباً وحزنًا » .

● (١ يو ٣ : ١٥) :

« كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس . وانتم تعلمون أن كل قاتل
نفس ليست له حياة أبدية ثابتة فيه » .

● (١ يوح ٣ : ٢١) :

« لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتي ، عالمين أننا نأخذ دينونة
اعظم ، لأننا في أشياء كثيرة نعرض جميعنا » .

● (يوح ٥ : ٩٠) :

« هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة ...
لا يمتن بعضكم على بعض أيها الآخرة لثلاث تدانوا • هوذا الديان والقف
قدام الباب » •

● تعليق :

رأينا من النصوص السابقة أن خطايا كثيرة تسبب الهلاك، وتلقى
في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، وتجلب العذاب والحزن ، وتحرم
من الحياة الأبدية، وتلقى إلى الشقاء، وإلى الدينونة، سواء منها الخطايا
التي تبدو خطيرة ، أو الخطايا التي يستهين بها البعض مثل التعليم
الكثير ، والفنى الزائد وبغس الأجراء ، وبفضة الأخ ... الخ ...
وهذا الأمر هو تعليم السيد المسيح نفسه :

● (يو ٥ : ٢٨، ٢٩) :

« فانه تأتى ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته • فيخرج
الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى
قيامة الدينونة » •

● (مت ١٣ : ٤٠-٤٢) :

« فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار، هكذا يكون في انتضاء العالم •
يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاصر
وفاعلي الاثم ، ويطرحونهم في أتون النار - هناك يكون البكاء وصرير
الأسنان » •

● (مت ٧ : ١٩، ٢٠) :

« كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً تقطع وتلقى في النار • فاذن من
ثمارهم تعرفونهم » •

نلاحظ في كل النصوص السابقة انه لم يتكلم عن طرح غير المؤمنين
في النار أو الدينونة وانما « الذين عملوا السيئات » و« جميع المعاصر
وفاعلي الاثم » و« من لا يصنع ثمرأ جيداً » •

والنصوص المقبلة تظهر بوضوح ان الايمان وحده لا فائدة منه
للخلاص اذا لم يصحب بأعمال صالحة :

● (مت ٧ : ٢١-٢٣) :

« ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات - كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات ...؟ فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط - اذهبوا عنى يا فاعلى الائم » .

نلاحظ فى هذه الآيات أن هؤلاء الهالكين لم يكونوا مؤمنين فحسب ، وانما أيضا اصحاب مواهب ومعجزات .

● (مت ٢٥ : ٤١-٤٦) :

« ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عنى. يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى ، كنت غريباً فلم تأوونى ، عرياناً فلم تكسونى ، مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى . حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يا رب متى ... فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة أبدية » .

نلاحظ هنا أن هؤلاء الهالكين ، لم يكونوا قتلوا أو فسقة أو عبدة أوثان . وانما مجرد عدم اطعام الجائع ، ومجرد عدم زيارة المريض ، كان سبباً فى هلاكهم ...

● (لو ١٣ : ٣، ٥) :

« ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » .

● (مت ٥ : ٢٩، ٣٠) :

« فان كانت عينك اليمنى تعثر ، فاقطعها والحقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ، وان كانت يدك اليمنى تعثر ... » .

نلاحظ هنا أن سبب الالقاء فى جهنم لم يكن عدم الايمان ، وانما كانت خطية واحدة من خطايا الجسد ، مثل شهوة العين التى تقود الى الزنا ، أو السرقة مثلاً .

● (لو ١٣ : ٢٤-٢٨) :

« واجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق : فاني أقول لكم ان كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرّون ، من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب . وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين يا رب افتح لنا . فيجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم ، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الاثم . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . »

(هنا يكلم مؤمنين يقولون له يا رب يا رب . . . ولكنهم هلكوا لأنهم كانوا فاعلي اثم) .

● (مت ١٩ : ٢٤) :

«مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله» .
[أى هناك من سيفقدون الملكوت ، لا بسبب عدم ايمانهم بل بسبب مغاطر الفنى] .

● (مت ١٢ : ٣٦) :

« ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساً يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر وبكلامك تدان » .

[ان ايمان الانسان لا ينفى وقوعه في الدينونة بسبب كلامه] .

هنا نتذكر قول معلمنا القديس باسيليوس الكبير : ماذا يفيدنى لو عملت كل البر ، ثم أقول لأخى يا أحمق فأكون مستحقاً نار جهنم ، لأن ربنا يسوع المسيح يقول : « ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مستحقاً نار جهنم » (متى ٥ : ٢٢) .

* * *

الدينونة ... حسب الأعمال

هذه حقيقة واضحة تبين أهمية أعمال الانسان .

في العهد القديم يقول داود في المزمور « لك يا رب الرحمة لأنك تجازي الانسان كعمله » (مز ٦٢ : ١٢) ، ويقول سفر الجامعة « لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة ، على كل خفى ان كان خيراً أو شراً » (جا ١٢ : ١٤) .

وفي العهد الجديد تأكدت هذه الحقيقة من فم السيد المسيح وأفواه رسله القديسين ، وفي هذا يقول السيد الرب « فان ابن الانسان سوف ياتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » (مت ١٦ : ٢٧) - كما قال أيضاً « فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته » فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) لاحظوا أنه يتكلم في هذه الآية عن الأعمال « الذين فعلوا الصالحات ... والذين عملوا السيئات » .

وليست الدينونة على الأعمال فقط ، بل حتى على الكلام . ولذلك يقول « بكلامك تبرر وبكلامك تدان » (متي ١٢ : ٣٦) .

وهذا الأمر واضح في سفر الرؤيا . اذ أن الرب أرسل الى كل ملاك من ملائكة الكنائس السبع يقول له « أنا عارف أعمالك » (رؤ ١ : ٢٠ ، ٢) . كما قال الرب صراحة « وها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي ، إجازي كل واحد كما يكون عمله » (رؤ ٢٢ : ١٢) .

وقد قيل في هذا السفر « طوبى للأموات الذين يموتون في الرب نذا الآن نعم يقول الروح ! لكي يستريحوا من أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم » (رؤ ١٤ : ١٣) . وقيل أيضاً « ودين الأموات مما هو كتب في الأسفار بحسب أعمالهم » (رؤ ٢٠ : ١٢) .

وصورة الدينونة التي شرحها لنا الرب يسوع من حيث كلامه الذي قوله للذين عن اليمين ، وكلامه للذين على اليسار ، هي صورة

دينونة حسب الأعمال • إذا قال للذين عن اليمين « جعت فاطعمتوني عطشت فسقيتموني ، كنت غريباً فأويتموني • • • » • وبناءاً على هذه الأعمال الصالحة قال لهم تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣١-٤٦) • وبالمثل فعل مع الأشرار ، دانهم حسب أعمالهم •

اذن يكفي أن يقصر الانسان في اطعام الجياع أو زيارة المرضى ، واذ يخلو قلبه من هذه الرحمة يفقد الملكوت ، مهما كان له من ايمان ، ومهما كان له من ثقة جوفاء في داخله لا تغنيه شيئاً !! • ما أخطر العبارة التى قالها معلمنا يعقوب الرسول « ما المنفعة يا أخوتى ان قال أحد ان له ايماناً ولكن ليس له أعمال • هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟! » (يع ٢ : ١٤) •

وكون الدينونة حسب الأعمال ، حقيقة تكلم عنها بولس الرسول كثيراً • فقال لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح ، ليتال كل واحد ما كان بالجسد يحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ١٠) • وقال أيضاً : « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٥-٧) •

وتلخيصاً للدينونة حسب الأعمال ، قال بولس الرسول كذلك « فان الذى يزرعه الانسان ، اياه يحصد أيضاً • لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً • ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ ، ٨) • كما قال « فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو » (١ كو ٣ : ١٣) •

وقال أيضاً « كل واحد سىأخذ أجرته بحسب تعب » ، ولم يقل « بحسب ايمانه » أو « بحسب النعمة » • • •

وعن الدينونة حسب الأعمال قال بطرس الرسول عن الأب « الذى يحكم بغير معاباة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) •

فان كانت الأعمال على هذه الدرجة من الخطورة - خيراً كانت أم شراً - بحيث يدان الانسان بموجبها ، فهل يجزؤ أحد أن يقلل من قيمة الأعمال وأهميتها ؟!

ان كان الله لا ينسى «كأس الماء البارد» فلا يضيع أجره ، ولا ينسى
ابدا تعب المحبة، «اذن يا اخوتي الاحباء كونوا راسخين غير متزعزعين،
مكثرين في عمل الرب كل حين ، عالمين ان تعبكم ليس باطلا في الرب »
(اكو ١٥ : ٥٨) .

ان الأعمال هامة جداً في طريق خلاصنا ، وهامة في تحديد مصيرنا
الأبدى ، فلنتأمل اذن كم هي لازمة . . .

الأعمال ثمار لازمة للإيمان

الأعمال ثمار للإيمان . الإيمان الحى لا بد ان يثمر ، وهو يثمر
أعمالاً صالحة . هذه الأعمال دليل على وجود الإيمان وحيويته . وهى
أيضاً ثمار لعمل الروح القدس فينا ، وثمار لازمة لحياة التوبة التى
نحياها .

**فهل يطلب الله هذه الأعمال ؟ او يطلب هذه الثمار ؟ نعم يطلبها ،
ويشدد في ذلك . . .**

**وقف يوحنا المعمدان ينادى قائلاً « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ،
ولا تبتدثوا تقولون في أنفسكم لنا ابراهيم أياً . . . » (لو ٣ : ٨) .**
ان اختيار الله لكم ، ليس معناه ان تخلصوا بدون الأعمال . لا بد ان
تصنعوا ثماراً تليق بالتوبة . وان لم تصنع ؟ ان لم تصنعوا ثماراً
فنهايتكم تكون الهلاك . وما الدليل ؟ .

يستطرد يوحنا المعمدان - أعظم من ولدت النساء - فيقول « والآن
قد وضمت الفأس على أصل الشجرة . فكل شجرة لا تصنع ثماراً جيداً
تقطع وتلقى في النار » (لو ٣ : ٩) أى أن الذى لا يعمل أعمالاً صالحة
يهلك . تحتج قائلاً ان لى ابراهيم أياً ، أنا مولود من الله ، أنا تيررت
وتقدسست وتجددت . اقول لك « اصنع ثماراً تليق بالتوبة » .

هذا الكلام لم يقله يوحنا المعمدان فقط ، لكننا في العهد الجديد
أيضاً نجد بولس الرسول يقول « اخبرت أولاً الذين في دمشق وفي
أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ، ثم الأمم ، أن يتوبوا ويرجعوا
الى الله ، عاملين أعمالاً تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) .

وفي رسالته الى تيطس يقول « صادقة هي الكلمة ، أريد أن تقرر هذه الأمور لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة » .
لماذا أيها القديس العظيم ؟ يكمل معلمنا بولس كلامه فيقول « ... وليتعلم من لنا أيضاً أن يمارسوا أعمالاً حسنة ... حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تي ٣ : ٨ ، ١٤) .

الأعمال اذن هي ثمرة الايمان ، ان كان لك ايمان ، ولا يعطى ثمرأ ، فهو اذن ايمان ميت ، لأنه لو كان حياً لأعطى ثمرأ .

وهذه المسألة يشرحها باستفاضة معلمنا يعقوب الرسول فيقول « ما المنفعة يا اخوتي ان قال أحد ان له ايماناً ولكن ليس له أعمال . هل يقدر الايمان أن يخلصه !؟ » (يع ٢ : ١٤) . أنت مؤمن بالمسيح وتقول أن دم المسيح قد طهرني وقد جددني وقد بررني ، حسن هذا جداً ، ولكن ان لم تكن لك أعمال ، فهل يقدر هذا الايمان أن يخلصك؟! ان يعقوب الرسول يثبت في صراحة تامة عجز الايمان عن تخليص انسان ليست له أعمال .

فهل يعقوب الرسول هو الوحيد الذي هاجم مثل هذا الايمان الميت؟ كلا ، بل ان بولس الرسول قال أيضاً « ان كان لي الايمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) .

ان كنت حقاً ابناً لله ، وهيكل الله ، والروح القدس يحيا فيك ، فينبغي أن تكون لك أعمال هي ثمار الروح فيك . ومعلمنا بولس الرسول يشرح هذه الثمار فيقول : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ايمان ، وداعة ، تعفف » (غل ٥ : ٢٢) . فهل توجد فيك هذه الثمار ؟ ان كانت لا توجد ، فما الدليل على أن الروح القدس يعمل فيك ؟!

ان الشجرة التي لا تثمر ، هي شجرة مائتة . وقد قال السيد المسيح له المجد « كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً ، تقطع وتلقى في النار ، فاذن من ثمارهم تعرفونهم . ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل ارادة أبي الذي في السموات » (مت ٧ : ٢١-٢٢) . وهنا نرى أن السيد الرب قد ربط بين الخلاص والثمر الجيد الذي يدل عليه عمل ارادة الأب .

ولاهمية هذه الثمار قال الرب في توبيخه لليهود « لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماراً » (مت ٢١: ٤٣) .

وقد شرح لنا الرب كيف انه ازمع ان يقطع التينة التي لم تصنع ثمرأ ، فتوسل اليه الكرام قائلا « ياسيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً . فان صنعت ثمرأ والا ففيما بعد تقطعها » (لو ١٣ : ٦-٩) . فان كنت تخشى أيها الأخ على نفسك من هذا القطع ، فأسرع الآن واعمل أعمالاً تليق بأبناء الله . لا تستهن بقيمة الأعمال ، فقد وضعت الفأس على أصل الشجرة .

ان الأعمال ليست فقط ثمرأ للإيمان ، وإنما أكثر من هذا :

الأعمال برهان على وجود الايمان :

يقول مار يعقوب الرسول « أرني ايمانك بدون أعمالك . وأنا أريك بأعمالى ايمانى » (يع ٢ : ١٨) . أى أن الأعمال تدل على وجود الايمان . وهذا واضح من قول الكتاب « من ثمارهم تعرفونهم . . . كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً ردية » (متى ٧ : ١٦، ١٧) .

الأعمال برهان على الولادة من الله :

وذلك لأن الكتاب يقول « ان علمتم أنه بار هو ، فأعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) . ويقول أيضاً « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (١ يو ٣ : ٩) . واعتبر أن هذا هو المميز لأولاد الله ، فقال بعدما « بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس (ظاهرون) » (١ يو ٣ : ١٠) .

وهذا يشبه ما قاله الرب لليهود المفتخرين باطلا بينوتهم لابراهيم : « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) . فاتخذ الأعمال دليلاً على البنوة .

وقد دافع بولس الرسول أيضاً عن هذه النقطة فقال « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أولاد الله » (رو ٨ : ١٤) .

ان كان أولاد الله هم هؤلاء الأبرار . فماذا تسمى الخطاة ؟ سماهم الكتاب « أولاد الأفاعى » (متى ٣ : ٧) . وسماهم « أولاد ابليس »

(يو ٨ : ٤٤ ، ١ يو ٣ : ١٠) • وسماهم أيضاً « أبناء الغضب »
و « أبناء المعصية » (أف ٢ : ٣،٢) •

ان أتاك أحد اذن وقال لك اننى ابن لله ، لأنى تجددت وتبررت
وتقدس . فقل له « من ثمارهم تعرفونهم » •
الأعمال اذن ثمرة للايمان ، وبرهان على وجود الايمان وبرهان
على البنوة لله • وماذا أيضاً ؟ نقول كذلك •

بالأعمال يكمل الايمان :

فهكذا قال الرسول « وبالأعمال أكمل الايمان » (يع ٢ : ٢٢) •
لقد بلغ الأمر بيعقوب الرسول أنه - عندما تكلم عن الديانة -
قال « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتامى
والأرامل في ضيقتهم ، وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم »
(يع ١ : ٢٧) • وكل هذه أعمال ولا شك • ولكننا لا نستغل هذه
الآية - كما يفعل البعض - وذلك لايماننا بمبدأ « خطورة استخدام
الآية الواحدة » •

ما دامت الأعمال اذن بهذه الأهمية • فلنتذكر على الدوام قول
مار يعقوب « فمن يعرف أن يعمل حسناً ، ولا يعمل ، فذلك خطية
له » (يع ٤ : ١٦) •

أهمية السلوك والأعمال الصالحة

ويقول البعض « ما علاقة الخلاص بسلوك الانسان ؟ ان المسألة
مسألة ايمان ، وليست مسألة سلوك أو أعمال صالحة » !! لذلك سنبين
هنا أهمية السلوك وحفظ الوصايا •

● يقول يوحنا الرسول : « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا في
الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق - ولكن ان سلكنا في النور كما هو
في النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا
من كل خطية » (١ يو ١ : ٧،٦) •

اذن سلوكنا في النور له نتيجتان ، هما الشركة والتطهير •

سلوكنا في النور ، يجعل لنا شركة مع الرب ومع بعضنا البعض •
بمعكس سلوكنا في الظلمة ، فانه يعطل شركتنا مع الله •

وسلوكننا في النور يجعلنا مستحقين أن نتطهر بدم المسيح • لأنه يقول « ان سلكننا في النور ... دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » • « ان سلكننا في النور » • هنا شرط • اذن فاستحقاقات القدام، والتطهير بدم المسيح، يستلزم منا أن تسلك في النور • ما أهم هذا السلوك اذن وما أخطره ...

● هذا السلوك الحسن ينجينا من الدينونة في اليوم الأخير • يقول الكتاب « اذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع • السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو ٨: ١) • انك بالمسيح يسوع تنجو من الدينونة ، ولكن بشرط ... بشرط أن يكون سلوكك روحياً •

ونلاحظ هنا أن عبارة القديس بولس الرسول تشمل الناحيتين السلبية والايجابية • فمن جهة ينبغي أن يبعد المؤمن عن الشر ، فلا يسلك حسب الجسد • ومن الجهة الأخرى ينبغي أن يثمر في الفضيلة ، فيكون سالكاً حسب الروح •

● لذلك ما أكثر وصايا أبائنا الرسل عن أهمية السلوك : يقول القديس بولس في رسالته الى أهل غلاطية « ان كنا نميش بالروح ، فلنسلك أيضاً بحسب الروح » (غل ٥: ٢٥) • ويشدد على هذه النقطة « اسلكوا بالروح ، ولا تكملوا شهوة الجسد » (غل ٥: ١٦) • ويأمر أن نسلك « في جدة الحياة » (رو ٦ : ٤) •

ويرسل الى أهل أفسس قائلاً « أسألكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التي دعيتم اليها » (أف ٤ : ١) • ويقول لهم أيضاً « انظروا كيف تسلكون بالتدقيق ، لاجهلاء بل كحكماء » (أف ٥ : ١٥) •

[انظروا أيضاً ١ تس ٢ : ١٢ ، ٤ : ١ ، ١ كو ١ : ١٠ ، رو ١٣ : ١٣]

● ومن ثم كان أبائنا الرسل يمنعون الخلطة بالذين يسلكون بلا ترتيب لذلك يقول مار بولس في رسالته الثانية الى تسالونيكي « ثم نوصيكم أيها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح ، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذي أخذناه منا » (٢ تس ٣ : ٦ ، ١١) •

● ويرى أبائنا الرسل أن السلوك الحسن هو علامة المحبة، والدليل على الثبات في المسيح .

فيقول القديس يوحنا الرسول « وهذه هي المحبة أن نسلك بحسب وصاياهم » (٢ يو ٦) . ويقول أيضاً « من قال أنه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً » (١ يو ٢ : ٦) .

● وحفظ الوصايا هو دليل محبة المسيح والعلاقة به :

قال القديس يوحنا الرسول « فإن هذه هي محبة الله ، أن نحفظ وصاياهم ، ووصاياهم ليست ثقيلة » (١ يو ٥ : ٣) . ولعل هذا هو ما قاله الرب نفسه « الذي عنده وصاياي ويحفظها ، فهو الذي يحبني » (يو ١٤ : ٢١) .

أما كونها دليل العلاقة به ، فقد قال الرب أيضاً « من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات ، هو أخي وأختي وأمي » (متى ١٢ : ٥٠) .

إن كان سلوك الإنسان على هذه الدرجة من الأهمية : تتوقف عليه شركتنا مع الله ومع الكنيسة ، ويتوقف عليه تطهيرنا من خطايانا بدم المسيح ، وبه تكون دينونتنا . وهو دليل على محبتنا لله ، وتباتنا فيه ، وعلاقتنا به ، فهل يصح أن يتجاهله أحد ، قائلاً إن حياتنا ليست مسألة سلوك وإنما إيمان !! .

★ ★ ★

الفصل الثالث

الجهاد والنعمة

ان كانت الأعمال لازمة للخلاص فهل يخلص الانسان بأعماله أم بنعمة الروح القدس العاملة معه ؟ لقد تطرف كثيرون في التحمس لأحد الجانبين ، فأخطأوا . وسنحاول في هذا المجال أن نجيب عن هذا السؤال الهام وهو كيف يخلص الانسان ؟ بالجهاد أم بالنعمة ، أم بكليهما معاً ؟

الجهاد والنعمة معاً :

لا يمكن للانسان أن يخلص بجهاده وحده . فقد قال السيد المسيح له المجد « بدوني لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ١٥) . اذن فذراعك البشرية وحده - بدون معونة من الله - لا يمكن أن يخلصك ، مهما جاهدت ومهما تعبت .

وأيضاً النعمة وحدها لا تشاء أن تخلصك بدون استجابة ارادتك لها . وما أجمل قول القديس يوحنا ذهبي الفم « ان الله لا يريدنا أن نكون مستقلين على ظهورنا ويعطينا الملكوت ، لذلك فالنعمة لا تعمل كل شيء وحدها » . فهي ليست مجالا للكسل والتهاون والتراخي .

فلا تجلس كسلاناً ، دون جهاد في حياتك ، قائلاً في غير فهم : اني نارك نفسي للنعمة تعمل بي ما تشاء !! ان عمل النعمة فيك يا أخى يس معناه أن تنام وتتهاون في أداء واجباتك .

ثال يشوع وموسى :

كان يشوع بن نون يقود الجيش ويحارب عماليق ، وفي نفس الوقت كان موسى النبي يقف على رأس التلة رافعاً يديه بالصلاة
خر ١٧ : ١١) .

فهل انتصر الشعب عن طريق جيش يشوع المعارب ، أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطيء من يركز على واحد من الأمرين ويهمل الآخر . لأن يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى - أى بدون معونة من الله - ما كان ممكناً أن ينتصر . وصلاة موسى وحدها لم يكن معناها مطلقاً تشجيع الجيش على أن يتراخى أمام العدو معتمداً على صلاة موسى ! الجهاد والصلاة معاً كانا سائرين جنباً إلى جنب . هذا يجاهد في الحرب ، والآخر يرفع يديه بالصلاة . الاثنان متلازمان .

شركة الروح القدس :

هناك عبارة جميلة ، ان فهمناها فهما الكثير عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كو ١٣ : ١٤) فما معنى عبارة شركة الروح القدس .

انها شركة بين اثنين يعملان سوياً : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر أن ينقذك وينجيك ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك أن تشترك معه في تدبير حياقتك ... وهذه هي شركة الروح القدس .

لعلك تحتج وتقول : كيف هذا ! ألا يستطيع الروح القدس وحده ان يخلصني ؟ نعم انه يستطيع ، ولكنه لا يشاء لأنه ليست في سياسته الله أن يرغمك على عمل الخير ، لأن العمل الذي لا ارادة لك فيه . لا يجوز مطلقاً أن تكافأ عليه .

وان الروح القدس هو وحده الذي يعمل ، فلماذا اذن وجد أيرار وإشراير ؟ لو أن الأمر يتلخص في عمل الروح القدس وحده ، ما وجد خاطيء واحد على الأرض . ان الروح القدس يستطيع أن يجعل الخاطيء يتوب ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا ما لم تتحد ارادة هذا الخاطيء معه . . . انها شركة .

ان مجرد وجود انسان خاطيء واحد في العالم ، لا يتوب ، لهو دليل أكيد على أن النعمة وحدها لا تعمل كل شيء .

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية :

كلا فحريتك قائمة ، واراتك قائمة • تستطيع أن تستجيب لعمل الروح القدس فيك ، وأن تشترك معه وتنقاد له • ويمكنك أيضا أن توقف عمل الروح القدس فيك إذا أردت • ولذلك يحذرنا الكتاب المقدس قائلاً : « لا تطفئوا الروح » (١ : ٥ : ١٩) ، ويقول أيضاً « لا تحزنوا روح الله القدوس » (أف ٤ : ٣٠) •

النعمة واقفة على الباب تقرع ••• « ها أنذا واقف على الباب وأقرع ، ان سمع أحد صوتي وفتح الباب ، أدخل اليه وأتعشى معه وهو معي » (رؤ ٣ : ٢٠) • وان لم يفتح ، فهو حر ، يحدد مصيره كما يشاء •

النعمة تعرض معونتها عليك • وانت حر تقبل أو لا تقبل تعمل أو لا تعمل •••

إذا اشتركت مع الروح القدس في العمل، من أجل نفسك، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة ، حسب درجة استجابتك وانقيادك • وإذا رفضت الاشتراك ، فالنعمة لا تشاء مطلقاً أن ترغمك على الخير • يتطرف كثير من الناس ، لدرجة أن كلمة الجهاد الشخصي تبدو كما لو كانت هرطقة ! كما لو كانت عملاً ضد الايمان وضد معونة الله ! وهذا كله خطأ •

فالنعمة عبارة عن سلاح مقدم اليك ، تستطيع أن تعارب به وتنتصر ان أردت ، وتستطيع أن تهمله ، وتقابل عدو الخير وأنت أعزل فتنهزم • وأنت في كلا الأمرين حر تنفذ مشيئتك ، ومن الخير لك أن تستخدم السلاح المقدم اليك من أجل خلاص نفسك •

وكمثال لهذا الأمر نقول : لو أن جنوداً أخذوا من قيادتهم أثناء الحرب دبابات ومدافع وقنايل وأسلحة ، وقاتلوا وانتصروا : فهل النصر راجع الى بسالتهم أم الى الأسلحة ؟ ان بسالتهم وحدها - بدون أسلحة - ما كانت تكفي مطلقاً للانتصار ، فالجهد يحتاج الى سلاح • والأسلحة وحدها ، بدون جنود مهرة يستخدمونها ، لا يمكن بمفردها أن تعمل شيئاً • كذلك الأمر في الحروب الروحية هي اشتراك بين ارادة الانسان وأسلحة الروح •

ضرورة الجهاد :

كثيرة هي النصوص المقدسة التي تشرح ضرورة الجهاد . . نذكر
من بينها قول الرسول «لذلك نحن أيضاً اذ لنا سحابة من الشهود مقدار
هذه محيطتنا بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطتنا بنا بسهولة ،
ولنعاضد بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) . يقول
الرسول هذا ثم يوبخ العبرانيين قائلاً « لم تقاوموا بعد حتى الدم
مجاهدين ضد الخطيئة » (عب ١٢ : ٤) .

فالمفروض اذن أن نجاهد ، وليس جهاداً عادياً ، انما جهاد حتى
الدم ضد الخطيئة . وان سأل أحد : الى متى هذا الجهاد ؟ نقول انه جهاد
العمر كله . وكما يقول الكتاب «الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص»
(مت ١٠ : ٢٢) . ورسول الجهاد نفسه شرح لنا كيف عاش بالنعمة
فقال : « جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الايمان .
وأخيراً قد وضع لي اكلیل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب
الديان العادل » (٢ تي ٤ : ٨،٧) .

انه جهاد ، ولكنه ليس جهاداً شخصياً منفصلاً عن عمل الله فيه .
بل انه يجمع الاثنين معاً اذ يقول عن كرازته « الأمر الذي لأجله أتعب
أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذي يعمل في بقوة » (كو ١ : ٢٩) .

ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى :

اما الذين يتطرقون في الحديث عن النعمة بحيث يحتقرون عمل
الجهاد ، فانهم يعترضون بالآية التي تقول « ليس لمن يشاء ولا من
يسعى ، بل لله الذي يرحم » (رو ٩ : ١٦) .

فما معنى هذا ؟ هل معناه أن رحمة الله تعطينا الخلاص المجاني ،
وننقلنا الى الملكوت ، بدون سعي وبدون مشيئة صالحة ؟! هل معنى
هذا أن ينام كل انسان ويكسل ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريده ،
مكتفياً بأن يرحمه الله وهو في هذا التراخي ؟!

مستحيل أن يقصد الرسول هذا . مستحيل أن يقصد هذا المعنى
من قوله ولا لمن يسعى ، بينما يقول « قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت
السعى . . . » .

ان الذى قال (ليس لمن يسعى) ، قد أكمل السعى • ونال اكليل
البر نتيجة لهذا السعى ، ونتيجة لجهاده الحسن •

ان الذى قال (ليس لمن يسعى) ، هو الذى قال عن نفسه « ليس
أنى قد نلت أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله
أدركنى أيضاً المسيح يسوع ... أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسى
قد أدركت ، ولكنى أفعل شيئاً واحداً ، اذ أنسى ما هو وراء
وأمتد الى ما هو قدام • أسعى نحو الغرض لأجل جملة دعوة الله العليا»
(في ٣ : ١٢-١٤) •

ان بولس نفسه يسعى لكى يدرك • فهل هذا هو مجرد اختبار
خاص قد مر بك يا بولس ؟ أبداً ... انه للكل - لذلك يتابع الرسول
كلامه فيقول « فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (في ٣ : ١٥) ...
ان كنت كاملاً اذن عليك أن تسعى لكى تدرك •

وبولس الرسول نفسه يدعونا جميعاً الى هذا السعى وهذا الجهاد
فيقول: «ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون
ولكن واحد يأخذ الجملة، هكذا اركضوا لكى تنالوا» (١كو ٩ : ٢٤) •

ما الذى تطلبه منا أيها الرسول العظيم؟! كيف نركض والأمر ليس
لمن يشاء ولا لمن يسعى؟! ما الفائدة من أن نركض وأن نجاهد ؟ كفاًنا
أن نجلس كما نحن ، وتأتينا النعمة من عند الله ، فتنقلنا من الموت الى
الحياة ، وتدخلنا مجاناً الى الملكوت ، دون أن نشاء ودون أن نسعى ! -
ان بولس يكمل كلامه فيقول « وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل
شيء •• اذن أنا أركض هكذا ... بل أقمع جسدى واستعبده ، حتى
بعدما كرزت للآخرين، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » (١كو ٩: ٢٥-٢٧) •

اذن فهذا الركض وهذا السعى ، ليس لنا فقط نحن المؤمنين
الضعفاء وانما هو للرسول أيضاً - فيولس نفسه يركض • بولس الذى
كان ممتلئاً من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة أكثر من
الجميع ، هو أيضاً كان محتاجاً أن يركض ، وأن يسعى ، وأن يكمل
السعى ، وأن يجاهد الجهاد الحسن ... ويدعونا معه أن نركض مثله
لكى ننال ••

بل ان بولس العظيم نراه يقمع جسده ويستعبده ، حتى لا يصير
هو نفسه مرقوضاً ! فان كان بولس الرسول يجاهد ويخاف أن يرفض
فماذا تفعل نحن ؟

ما معنى اذن قوله « ليس لمن يشاء ولا لمن يسمى بل الله الذى يرحم » ؟
معناه أن الملكوت لا تصل اليه بمجرد مشيئتك فقط ، أو بمجرد سعيك
فقط ، بدون عمل الله معك ، وبدون معونة من نعمته ، وبدون شركة
الروح القدس .

فالجانب الأساسى في الموضوع يرجع الى الله الذى يرحم . فالذى
يعتمد على مشيئته وحده ، وعلى سعيه وحده ، هو مخطيء ، فأنا أسمى
والله يرحم . وعندما يبارك الله سعى ، أرجع الفضل الى الله وليس
الى هذا السعى .

حقيقى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، ولكن الله الذى يرحم .
ولكن من هو الذى يرحمه الله ؟ يقول أحد القديسين « ان الله يرحم
الذين يشاءون والذين يسعون » .

تذكرنى هذه الآية بقول بولس الرسول أيضاً « اذن ليس الغارس
شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى » (١كو ٣ : ٧) .

حقيقى أن الفضل لله الذى ينمى . ولكن الله ينمى الغرس الذى
غرس وسقى . ليس معنى الآية أننا لا نغرس ولا نسقى . قائلين في
أنفسنا ليس الغارس شيئاً ولا الساقى ، ثم بعد ذلك في جهالة ننتظر
أن الله ينمى !! بل أننا نغرس ونسقى ، ونقول ليس الغارس شيئاً
ولا الساقى بل الله الذى ينمى . تماماً مثلما نشاء ونسعى ، ونقول
ليس لمن يشاء ولا لمن يسمى بل الله الذى يرحم .

الحرب الروحية :

فلنتأمل شرح الرسول لهذه الحرب الروحية في الاصحاح السادس
من رسالته الى أفسس اذ يقول :

« أخيراً يا اخوتى ، تقووا في الرب وفي شدة قوته . البسوا سلاح
الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكاييد ابليس . فان مصارعنا

ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السمويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل ، لكي تقدرُوا أن تقاومُوا في اليوم الشرير . وبعد أن تتممُوا كل شيء ، أن تثبتُوا . فاثبتُوا بمنطقين أحقاكم بالحق ، ولايسين درع البر ، وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام . حاملين فوق الكل ترس الايمان الذي به تقدرُونَ أن تطفئُوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذُوا خوذة الخلاص ، وسيف الروح الذي هو كلمة الله . مصليين بكل صلاة وطلبية كل وقت في الروح ، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبية . . . » (أف ٦ : ١٠-١٨) .

هنا مصارعة ، وهنا حرب روحية ، وجهاد . والسلاح هو سلاح الله الكامل . ولكن ليس معنى هذا أننا لا نجاهد . إنما يجب أن نجاهد ، وتعتمد على الله في جهادك . لا تكن مثل شخص قدمت اليه أسلحة الله الروحية ، ووقف صامتاً لا يستخدمها ، ولا يحارب بها . الأسلحة موجودة ، ولكن عليه أن يحارب .

أسلحة الله لها قوتها ، ولكن ان لم تستخدمها فستنهزم . ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكياً في (في ٣) . كان بإمكانهم أن يستخدموا كل تلك الأسلحة ، ولكنهم تركوها ، ومالت نفوسهم نحو الخطيئة واستسلموا لها فهلكوا في خطاياهم .

على أننا في تلك الأسلحة الروحية نلاحظ البر ، والحق ، وكلمة الله ، والصلاة والطلبية ، والسهر . . . وكل هذه أعمال .

ومعلمنا بطرس الرسول يتكلم أيضاً عن هذه الحرب الروحية فيقول « اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين في الايمان . . . » (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) . ان ابليس عدونا مثل أسد زائر . فماذا نفعل إذن ؟ -

(قاوموه) . . . أي جاهدوا واصمدوا واستبسلوا . ولكن ليس اعتماداً على ذراعكم البشرية ، بل (قاوموه راسخين في الايمان) . هذه الآية تدل على الأمرين معاً : الجهاد في مقاومة الشيطان ، والنعمة التي يعتمد عليها المجاهد بالايمان .

ومثل هذا الجهاد يدعو اليه بولس الرسول عندما يوبخ العبرانيين قائلاً « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة » (عب ١٢ : ٤) .

هنا جهاد وهنا مقاومة - ولكننا لا نقاوم بقوتنا الخاصة وانما بسلاح الله الكامل ، راسخين في الايمان .

وهكذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس « جاهد جهاد الايمان الحسن » . فهنا جهاد وهنا ايمان ، والأمران يسيران معا . ويتحدث بولس الرسول عن جهاده فيقول « جاهرنا في الهنا أن نكلمكم بانجيل الله في جهاد كثير » (١ تس ٢ : ٢) . ويقول في رسالته الى كولوسي (٢ : ١) « فاني أريد أن تعلموا أي جهاد لي لأجلكم » .

مثال داود وجليات :

كيف انتصر داود على جليات ؟ هل انتصر عليه بنعمة الله ومعونته؟ نعم بلا شك . لقد كان داود معتمداً على الرب اعتماداً كاملاً . ولذلك قال داود لجليات « أنت تأتي الى بسيف وبرمح وبترس ، وأنا أتى اليك باسم رب الجنود » . « هذا اليوم يحبسك الرب في يدي ، فأقتلك وأقطع رأسك » . وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب ، لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٥-٤٧) .

عظمة داود في هذه الحرب انه أدخل الله الى ميدان القتال . قبل مجيء داود لم يكن هنا كلام عن الله . كان الكلام فقط عن الرجل الصاعد ، الرجل الجبار ، الذي يعير الجيش دون أن يهتم . وكان الكلام أيضاً عن مكافأة الملك لمن يقتل هذا الرجل (١ صم ١٧ : ٢٥) .

أما داود فأدخل اسم الرب الى الميدان « آتيك باسم الرب » . يحبسك الرب في يدي . . . الرب الذي أنقذني من يد الأسد . . . لأن الحرب للرب . . . الخ » . ولكن هل اكتفى داود بأن أدخل اسم الرب الى الميدان قال : بالايمان سأقتل جليات ، بدون عمل وبدون جهاد ، لأن الحرب للرب وهو سيدفعه ليدنا ! . . . كلا ، بل ان داود « انتخب خمسة حجارة ملساء من الوادي وجعلها في جرابه ، وتقدم نحو الفلسطيني ومقلعه بيده » (١ صم ١٧ : ٤٠) . وكان لما تقدم جليات للقاء داود « أن داود أسرع وركض نحو الصف للقاءه ، ومد يده الى الكتف، وأخذ منه حجراً ، ورماه بالمقلع، وضرب الفلسطيني في جبهته، فارتكز الحجر في جبهته وسقط على وجهه الى الأرض . فتمكن

داود منه بالمقلع والحجر وضربه وقتله • ولم يكتف بهذا ، وإنما - اذ لم يكن له سيف - ركض ووقف فوق جليات ، وأخذ سيفه واختارطه من غمده ، وقتله وقطع به رأسه » (اصم ١٧ : ٤٨-٥١) •

حقيقى أن الحرب للرب ، وأن الرب هو الذى حبس جليات في يد داود ، ولكن كان لا بد لداود أن يحارب ، وأن يتقدم الصف ويركض وينتخب حجارة معينة ، وأن يضع الحجر في المقلع ، ويسدد بمهارة • وكان لا بد أيضاً أن يختارط السيف ، ويتمكن من الرجل ويقتله ••• وكل هذه أعمال •••

ومع كل هذه فنحن نرجع الفضل في هذا الانتصار الى الله ، وليس الى داود • لأنه كان من الممكن أن الحصاة لا تأتى في موضع قاتل بالنسبة لجليات فلا يموت بها • ومع أن داود حارب بكل مهارة ، وانتصر ، فأننا مع ذلك نردد قول بولس الرسول « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » • لا بد من الجهاد والعمل ، ومع الجهاد والعمل ننسب النصر لله •

الايمان والعمل معاً :

هكذا أيضاً في الجهاد الروحي ••• هي حرب بلا شك • أنت تعارب بكل ما عندك من قوة ، والقوة التى عندك هي من الله • تعارب بكل ما تملك من سلاح ، وهذا السلاح هو سلاح الله الكامل • لا تقل : أنى أنا ، وأسبح في الأحلام ، وفي أحلامي أرى الله ينقذنى بالنعمة ••• ! ان الله لا ينقذ الكسالى ، والنعمة ليست تشجيعاً على التراخي والتهاون •

تلميذ لا يذاكر ، ويذهب الى الكاهن يطلب صلاته لكي ينجح ، مؤمناً بقوة الصلاة ••• ما الحكم على هذا المثال ؟ ان الايمان بدون أعمال ميت • على التلميذ أن يذاكر ، ويطلب الصلاة أيضاً • وهكذا يتحد الايمان والعمل معاً •

يقول البعض ان الجهاد هو ذراع بشرى • وملعون من يتكل على ذراع بشر • • والحقيقة أن الجهاد يصبح ذراعاً بشرياً ، لو اعتمد الانسان على ذاته فقط ، أى لو اعتبر أنه بمجرد جهاده يخلص دون عمل النعمة معه ! هنا يقف أمامه قول السيد الرب « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) •

ان الحرب بدون سلاح لا تصلح • والسلاح وحده بدون حرب ،
وبدون انسان يستعمله جيداً ، لا يمكن أن يجلب النصر •
الاثنين متلازمان • وقد قال بولس الرسول « ان كان أحد يجاهد ،
لا يكلل ان لم يجاهد قانونياً » (٢ تي ٢ : ٥) • اذن لا بد أن تجاهد ،
وتجاهد جهاداً قانونياً وبهذا تخلص •

جهاد الرسل والرعاة :

هل الرسل لم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس
الرسول نفسه يقول « انا تميت أكثر من جميعهم » (١ كو ١٥ : ١٠) •
كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعباً سجله في رسالته الثانية الى
كورنثوس (٢ كو ١١ : ٢٣-٣٣) • فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ،
لماذا اذن يتعب بولس ؟ وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والتبشير
والرعاية والتمب ؟ ما دامت النعمة تعمل كل شيء !! •

لماذا يتعب الراعي ، ويرعى ويفتقد ويجاهد ؟ اليس الله قادر أن
يتكلم في قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! ما لزوم الرسل اذن والرعاة
والوعاظ ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ وهل نسمى كل هذا ذراعاً بشرية ؟ •

لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن اذن ينام ، ويصلي
في قلبه قائلاً : أنت يا رب الذي تتولى رعاية شعبك • من أنا حتى أجاهد
وأرعى ؟! ليس لمن يشاء ولا لمن يسمى بل لك أنت الذي ترعى الشعب !!

والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه أن ينام في البيت مستريحاً ويقول :
نعمت يا رب هي التي تتكلم في قلوب الناس وترشدكم وتخلصهم !! •

وانت ، لماذا تتعب نفسك في حياتك الخاصة ، في الصلاة وفي الصوم
وفي الجهاد • استريح معتمداً على أن النعمة تفعل كل شيء ! •

العمل مع الله :

وتقول هذا لأنه كم من أناس ضيعوا آخرين بنصيحة خاطئة يقولون
فيها : لا تجاهد • لماذا تجاهد ؟ ان الله لا يبدأ في العمل معك الا عندما
تقف أنت ! فأبطل عملك لكي يعمل الله !! •

ما هذا الكلام العجيب القاتل ؟ ما معنى أن تبطل عملك لكي يعمل
الله ؟! لماذا لا تشترك في العمل مع الله ، فيعمل الله معك ، ويعمل

الله فيك ، ويعمل الله بك • كما قال بولس عن نفسه وعن أبولوس
« فإنا نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) •

لماذا تفصل عملنا عن عمل الله ؟ لماذا لا نعمل سوياً ، نشترك معه
وهو معنا • وهكذا يتكلم يوحنا الرسول عن الرب وعن « الشركة معه »
(١ يو ١ : ٦) • كما يتكلم بولس الرسول عن شركة الروح القدس •

الله بنعمته ، بقوته ، بروحه القدس ، يقول لك : أنا أريد أن
أعمل معك لتخليصك • فإن قبلت العمل معي تخلص ، وأن لم تقبل
فإنك تحرم نفسك من هذا الخلاص • أنا واقف على الباب ، أعرض
نعمتي ومحبتى وقوتى ومعونتى وكل الامكانيات اللازمة لخلاص النفس
التي أقرع على بابها • ولكن • • • ان فتح أحد الباب لى ، ان قبل أن
يعمل معي ، ان سلمنى أحد ذاته لكى أعمل فيها ، ان استسلم أحد
لعملى ، حينئذ أشارك معه وهو معي •

مثال من التطرف :

من أسوء ما قرأت في حياتى عن التطرف في انكار قيمة الأعمال ،
ما كتبه ف.ب. ماير في كتابه (مخلصون ومحفوظون) ان أشد
البروتستانت تعصباً في معارضة الجهاد ، يقولون أن للإنسان جهاداً
واحداً في حياته هو جهاد الصلاة • أما ف.ب. ماير هذا فإنه يحارب
أيضاً الجهاد في الصلاة •

فيقول تحت عنوان (عندما كففت عن مجهوداتى) : « ليس أمامك
إلا أن تدرك هذه الحقيقة ، وهى أنك طالما كنت تصارع مع الله فإنك
تخسر أثمن بركاتك ! • لقد صارع يعقوب مع الله طول الليل ولم
يتقدم خطوة واحدة • وعندما لم يستطع أن يصارع بعد ، لأن حق
فخذه قد انزع ، وكان على وشك السقوط ، نال البركة التي جعلته
رئيساً » !! •

ويسـتـطـرد ماير فيقول : « لقد تأوهت وجاهدت وتوسلت لكن
بلا جدوى • والآن أصمت واسكت !! ان مجهوداتك الجبارة زادت
أمورك تعقيداً » !! ويظل هذا الكاتب البروتستانتي يحارب الصلاة
والجهاد والتوسل والصراع مع الله ، الى أن يقول « اعلم ان الله قادر
أن يخلصك • • • لقد كان منتظراً كل هذا الوقت الطويل ليخلصك ،
وحالما تنتهى مجهوداتك سيبدأ هو » !! وهكذا يدعو الى ابطال السعى ،

قائلا في باب آخر عنوانه (لا نسعى بل نتقبل) : « انك لن تحصل على البركة التي تتوق اليها بالكفاح والنضال بصرخاتك القوية وصلواتك ، بمزيمتك ومسايعك . بل بأن تهدى نفسك أمام الله وتقبل النعمة » .

ثم شرح مثلا لفشل مجهودات الصلاة ، فروى قصة عن انسان ظل يجاهد سنتين ، رفع فيهما صلوات الى الله ليهبه قوة للتغلب على تجربته . وبدأ أن الصلوات لم تسمع . ولما يئس جدا ، ولما أبطل الصلاة ، بدأ الله يعمل . . . !!!

هل هذا تعليم يرضى ضمير أحد ؟! والكتاب يدعونا في كل أسفاره ، أن نجاهد في الصلاة وأن نصلي بلا انقطاع وأن نسهر ونصلي . . . ولكنه التطرف البروتستانتي في انكار قيمة الجهاد حتى في الصلاة !!

التدريب الروحية :

ان البروتستانت ومن اليهم ممن يحاربون الجهاد والعمل ، يحاربون ايضا التدريب الروحية ، كما لو كانت هي أيضا اعتمادا على ذراع بشرية . . .

ونحن نقول انه اذا سلك الانسان في التدريب الروحي معتمدا على قوته الخاصة ، فانه يخطيء ولا شك . جيد أن يدر بانسان نفسه ، ولكن معتمدا على قوة الله ، مرددا قول بولس الرسول « أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » (في ٤ : ١٣) .

وبولس الرسول يتحدث عن تدربيه فيقول في سفر الأعمال « كذلك انا ايضا ادرّب نفسي ، ليكون لي دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) . ويقول في رسالته الى فيلبى « وفي جميع الأشياء قد تدربت ان اشبع وان أجوع ، وان أستفضل وان أنقص » (في ٤ : ١٢) . . . لقد تدرب في كل شيء ، وأصبحت له الحواس مدربة (عب ٥ : ١٤) .

لا مانع إذن من أن يستخدم المؤمن التدريب الروحية ، بل أن يصلي الى الله ويقول « دربني في حقك وعلمني » (مز ٢٥ : ٩) . ولكن في كل هذه التدارب يعتمد على قوة الله التي تعينه . وفي كل نجاح له ينسب الفضل لله وليس لشجاعته الخاصة وضبطه لنفسه .

الفصل الرابع

الثقة وضمان الملكوت

سؤالان يمران باذهان الكثيرين :

- ١ - ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟
 - ٢ - هل يحق للمؤمن أن يعتبر نفسه ضامناً للملكوت ؟
- فما هي الاجابة عنهما ؟

ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟

١ - ثقة في الله ، غير محدودة :

أنسأل : ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟ في الواقع ، ليس لهذا الرجاء حدود - فبمقدار ما تكون مراحم الله ، هكذا يكون الرجاء فيها - وما دامت مراحم الله غير محدودة ، هكذا أيضاً الرجاء في مراحم الله غير محدود .

ان الرجاء هو احدى الفضائل الثلاث الكبار (١٣: ١٣) - وهو - ككل فضيلة - ينمو في الانسان حتى يصل الى كماله النسبي فيه ولا يبلغ الرجاء كماله ، الا اذا خلا من كل شك ، وتثبت بكل يقين .

وثقة الرجاء تأتي من امرين : احدهما يتعلق بالله ، والثاني بالانسان نفسه . أما عن الرجاء - من جهة الله - فهو يبنى على الايمان بصفات الله ، ومعاملاته السابقة ، وكفارة دمه ، وصدق مواعيده .

ومن صفات الله انه غير محدود في رحمته وشفقته ومغفرته ومحبته ، وانه لا يسر بموت الخاطيء ، بل بأن يرجع ويعيا (حز ١٨ : ٢٣) .

ومعاملات الله السابقة تثبت لنا هذه الصفات ... وكفارة دمه غير محدودة ، كافية لغفران خطايا العالم كله من أول الدهور الى آخرها .
أما وعوده فهي كثيرة وصادقة تفتح أبواب الرجاء واسعة أمام التائبين .

هذه هي إحدى زوايا الرجاء . ومن ينظر منها الى الأبدية ، يشع أملاً .
أما الزاوية الأخرى فهي الانسان ذاته . فهل نظرة الانسان الى ذاته يمكن أن تجلب الثقة بأنه ضامن للملكوت ؟

ب - عدم ثقة بارادتنا الخاصة :

لست أميل الى الترتيلة التي تقول « انى واثق ... » هي ترتيلة بروتستانتية بلا شك . وعلى الرغم من أن بعض ألفاظها سليمة وصحيحة ، الا أنها - في مجموعها - تعطى تعليماً بروتستانتياً غير سليم .

ان سالك أحد « هل أنت واثق ؟ » فيماذا تجيب ؟ ...

نعم ، أنا واثق بدم المسيح ، ثقة لا حدود لها ؛ ولكنى لا أثق بنفسى . لا أثق بحرية ارادتى ، التي ربما تميل الى الشر . وعندما بدأت بالروح ، ربما أكمل بالمجسد (غل ٣ : ٣) .

ولذلك فان الذين يفقدون الخلاص ، يفقدونه ليس بسبب أن الله عاجز عن أن يخلصهم ، وانما بسبب أن ارادتهم الحرة قد انحرفت نحو الشر ...

فهل يفقد الانسان الرجاء ؟ كلا فهذا تطرف وقع فيه قايين - أول خاطيء من بنى آدم - حينما قال « ذنبى أعظم من أن يحتمل » (تك ٤ : ١٣) . وفي قطع الرجاء وقع يهوذا أيضاً ، اذ مضى وخنق نفسه (متى ٢٧ : ٥) .

وكما يخطيء الانسان اذا فقد الرجاء ، يخطيء أيضاً اذا اعتمد على رجاء كاذب مبني على بره الذاتى . ويخطيء كذلك اذا كان في اعتماده على دم المسيح ، ينسى اجتهاده واحتراسه ، ولا يفعل ما يجعله مستحقاً لفاعلية دم المسيح ...

ويخطيء من يظن أنه لا صلة له بالخطية على الإطلاق ، وأنه قد تجدد وقد تقدس وأصبح في حياة أخرى لا يمكن فيها أن يخطيء .

هذا أيضاً رجاء كاذب • ويختفى وراءه لون من البر الذاتية ، سواء كان يدرى به صاحبه أو لا يدرى ...

اننا نثق بدم المسيح ، ونثق بكفارته وفدائه • ولكننا - في داخل أنفسنا - نعتزف بأننا خطاة ، ونمتزف بأنه ما أسهل أن تضيعنا خطيئتنا ...

ان الذى يقول « أنا ضامن للملكوت » كأنه يقول : « أنا ضامن أننى سوف لا أخطئ • وان أخطأت ، فأنا ضامن اننى سوف أتوب توبة صادقة مقبولة !! » أو لعل مثل هذا يحتج على كلامى ويقول : كلا ، سوف لا أتحدث عن التوبة • وانما ان أخطأت « قلنا شفيع عند الأب ، يسوع المسيح البار ، وهو كفارة عن خطايانا » (١ يو ٢ : ١ ، ٢) ...

نعم ، يا أخى • هو كفارة عن خطايانا • ولكنه هو أيضاً الذى قال « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) • هل تظن أنه سيشفع فيك دون أن تتوب ؟! كلا ، ان هذا وهم باطل • فاهتم بأبديتك اذن وتب • وأعرف أن الذى لا يتوب ، سوف لا يشفع المسيح فيه • وانما ينذره قائلاً : « احفظ وتب • فانى ان لم تسهر ، أقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٣) •

تواضع اذن يا أخى • واستمع الى قول بولس الرسول منذراً « ... ان من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط » (١ كو ١٠ : ١٢) •

انك لست أقوى من الذين سقطوا ، بل ربما لم تصل الى شيء من درجتهم بعد ، قبل سقوطهم • انظر ماذا يقول بولس الرسول ، وتمعن جيداً في الصفات التى يوردها • انه يقول « لأن الذين استنبهوا مرة ، وذاقوا الموهبة السماوية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ، وسقطوا ... » [عب ٦ : ٤-٦] •

يا للهول ، ويا للخوف !! هل وصلت يا من تضمن الملكوت الى هذه الدرجات العالية التى كانت لأولئك ؟! هل استنرت ، وصرت شريكاً للروح القدس ، وذقت الموهبة السماوية وكلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ؟! ومع ذلك فان الذين نالوا كل هذه المواهب قد سقطوا • ولم يسقطوا فقط بل هلكوا - لأن الرسول يقول انه « لا يمكن تجديدهم

أيضاً للتوبة » ويشبههم بأرض « مرفوضة وقريبة من اللعنة ، التي نهايتها الحريق » (عب ٦ : ٨٠٦) .

ج - هل خلصت أم لم تخلص ؟

قال لي أحد الشبان : « بماذا أجيب اذن ، ان سألتني شخص قائلاً « هل خلصت أم لم تخلص ؟ » ... »

أولا يجب أن تدرك أن من يسألك هكذا ليس أرثوذكسياً خالصاً . لا بد أن يكون بروتستانتي المذهب ، أو على الأقل بروتستانتي في بيئته وثقافته . لأن الذي يتجاهل معموديتك ، وما نلت من الأسرار المقدسة ، ويلقى في نفسك الشك في إيمانك ، ويدعوك من الآن إلى الإيمان وإلى الخلاص ، كما لو كنت وثنياً في حياتك السابقة !! مثل هذا ، لا يمكن أن يكون أرثوذكسياً ، فلفته تظهره .

أما الإجابة على سؤاله فهي : نعم ، اننى خلصت في المعمودية من الخطية الأصلية ، الخطية الجدية الموروثة . نلت هذا الخلاص الأول بدم المسيح وفاعلية كفارته وفدائه . أما الخلاص النهائي ، فننال بعد أن نخلع هذا الجسد . اننا ما نزال في حرب ، « ومصارعنا ليست مع دم ولحم ، بل مع ... أجناد الشر الروحية » (أف ٦ : ١٢) . وسننال الخلاص عندما تغلب ونتصر في هذه الحرب ...

وطالما نحن في الجسد ، لا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا وخلصنا . لذلك فالكنيسة المقدسة لا تعيد للقديسين في يوم ميلادهم الجسدى ، ولا في يوم انضمامهم إلى الكنيسة ، وانما في يوم نياحتهم ، أو استشهادهم ، عملاً بقول الكتاب « انظروا إلى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣ : ٧) . وهكذا في مجمع القديسين في القديس الالهى ، نذكر نفوس جميع الأبرار الذين كملوا في الإيمان ، أو اكتملت حياتهم في الإيمان ...

نذكر هنا قصة نياحة القديس العظيم الأنبا مقاريوس الكبير ، الذى طاردت الشياطين روحه بعد خروجها من الجسد ، قائلين له « خلصت يا مقاره » وكيف لم يقل لهم « نعم ، بنعمة المسيح خلصت » الا بعد أن دخل الفردوس .

د - لتكن اجابتكم من ايمان الكنيسة :

ان سئلتهم سؤالاً عقيدياً ، فلا تجيبوا مطلقاً معتمدين على فكركم الخاص أو فهمكم الخاص . فقد قال الكتاب « على فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) .

انت ابن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، جابو اذن بايمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية . ايمانها كما يظهر في كتبها الكنسية المعترف بها ، وكما يظهر في أقوال آبائها ، وفي قوانينها وتقاليدها . وسأنظر الآن الى كتابين هامين من كتب الكنيسة هما الخولاجي المقدس والأجبية ، وأرى ماذا يعلماننا في موضوعنا هذا . . .

انك تصلى كل يوم في صلاة الغروب وتقول « اذا كان البار بالجهنم يخلص ، فأين أظهر أنا الخاطيء » . « احسبني يا الله مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، لأننى أفنيت عمري في اللذات والشهوات ، وقد مضى منى العمر وفات » . « لكل اثم بحرص ونشاط فعلت ، ولكل خطية بشوق واجتهاد ارتكبت ، ولكل عذاب وحكم استوجبت » .

هل في عبارة واحدة من كل هذا، ما يدل على انك قد خلصت وضمنت الملكوت وانتهى الأمر . أم هي صلوات من نفس منسحقة معترفة بخطاياها، معترفة بأنها تستحق كل عقوبة، طالبة الرحمة من الرب؟ .

بنفس هذا الانسحاق تقف أمام الله في صلاة النوم وتقول « هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب من أجل كثرة ذنوبي ، لأن العمر المنقضى في الملامى يستوجب الدينونة . لكن توبى يا نفسى مادمت في الجسد ساكنة . . . » . وتوبخ نفسك قائلاً « اذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة ، أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيبى ، وأنت على سرير الخطايا منطرحه ، وفي اخضاع الجسد متهاونة ؟! » . . .

انه انسحاق العشار الواقف أمام الله في ذلة ، وليست كبرياء الفريسي . . . اننا لا نقف كأبرار قد تجددوا وتقدسوا ، ونالوا الخلاص ، وضمنوا الملكوت انما في كل صلاة نعرف باستحقاقنا للدينونة ونطلب الخلاص . . .

وهكذا في صلاة « تفضل يا رب » في صلاة النوم ، يتضرع كل منا قائلاً : « أنا طلبت الى الرب وقلت : ارحمنى وخلص نفسى ، فانى

أخطأت اليك • التجأت يا رب اليك ، فخلصني ، وعلمني أن أصنع
مشيئتك » •

وصلاة الساعة السادسة نستهلها بقول المزمور « اللهم باسمك
خلصني » (مز ٥٣ : ١) • ونقول فيها « مزق صك خطايانا ، أيها
المسيح الهنا ونجنا » •

وهكذا تملك الكنسية أن تتضرع الى الرب كل يوم أن يمزق صك
خطايك ، مختتماً هذه القطعة من الصلاة بقولك « كلامي أقوله ،
فيسمع صوتي ، ويخلص نفسي بسلام » •

انك نلت خلاصاً في المعمودية من خطيئتك الأصلية ، ومات انسانك
المتيق ، عندما مت مع المسيح ودفنت معه • ولكنك مع ذلك ، ما تزال
تغطيء كل يوم • وان قلت انك لا تغطيء تفضل نفسك ولا يكون
الحق فيك (١ يو ١ : ٨) •

انت تغطيء كل يوم ، وأجرة الخطية الموت • انن فانت تتعرض
للموت كل يوم • وتحتاج في كل يوم الى الخلاص • تحتاج الى دم المسيح
يوميةً ليظهرك من كل خطية • لذلك تحتاج باستمرار الى أن تعترف
بخطايك ، وتتوب ، وتتناول من جسد الرب ودمه الذي « يعطي عنا
خلاصاً وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » حسبما
تعلمنا صلوات القديس الالهى •

انه خلاص يتجدد باستمرار ، تطلبه كل يوم ، وتأخذه في كل توبة ،
وفي كل تحليل يصليه الكاهن على رأسك ، وفي كل تناول من جسد
الرب ودمه •

نرجع بعد هذه المقدمة الى موضوع الثقة وضمان الملكوت •

★ ★ ★

أُسُس الثقة وشروطها

كما يشرحها يوحنا الرسول

ثقة بولس و يقينه :

الذين يتكلمون عن ضمان الملكوت ، يعتمدون أولاً على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم المسيح ... » (عب ١٠ : ١٩) . وكذلك قوله عن نفسه « لأننى عالم بمن أمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعته الى ذلك اليوم » (٢ : ١ : ١٢) . وقوله أيضاً « وأخيراً وضع لى اكليل البر » (٢ : ٤ : ٨) . وغير ذلك من النصوص المقدسة التى يعتمد عليها الكثيرون قائلين انهم يعيشون في « يقين بولس » !! .

وسوف نتناول بنعمة الرب كل تلك النصوص بالشرح والتعليق في الصفحات المقبلة ان شاء الله .

غير اننا نود أن نفهم أولاً على أى أساس تبني هذه الثقة . لذلك لسنا نجد - في مقدمة موضوعنا هذا - خيراً من التوضيح الجميل الذى قدمه لنا معلمنا يوحنا الرسول ، عن شروط الثقة وأسبابها وأساسها .

فما هى الأسس التى تحدث عنها يوحنا الرسول ؟ .

١ - شرط راحة الضمير :

يقول القديس يوحنا الرسول « أيها الأحباء ، ان لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله » (١ يو ٣ : ٢١) . هنا شرط : ان لم تلمنا قلوبنا . أى ان كان ضميرنا لا يلومنا أو لا يبكتنا على شيء . ان كنا لا نخطيء في شيء يجعل قلوبنا تلومنا

مصدر الثقة هنا اذن ، وأساسها الذى تبني عليه ، هو أن قلوبنا تكون راضية من جهة علاقتنا بالله ، لا تلومنا على شيء . أما اذا لامتنا ، فان الثقة بالتالى تتزعزع بلا شك .

اذن تأتي الثقة من راحة الضمير • وكيف تأتي راحة الضمير هذه؟
يوضح القديس يوحنا هذه الفكرة فيقول « ان لم تلمنا قلوبنا فلنا
ثقة من نحو الله • ومهما سألنا ننال منه ، لأننا نحفظ وصاياهم ، ونعمل
الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢١، ٢٢) •

لقد اتضح اذن مصدر هذه الثقة • وهو اننا نحفظ وصايا الله ،
ونعمل الأعمال المرضية أمامه • هذا هو حجر الزاوية في التعليم •
طالما نحفظ وصايا الله ونعمل الأعمال المرضية أمامه ، فان ضميرنا
يكون مستريحاً ، ولا يوجد شيء تلومنا قلوبنا عليه ، وحينئذ يكون
لنا ثقة من نحو الله •

ماذا قال معلمنا يوحنا الرسول أيضاً ؟

٢ - شرط الثبات في المسيح :

يقول « والآن أيها الأولاد ، اثبتوا فيه • حتى اذا أظهر ، يكون لنا
ثقة ، ولا نخجل منه في مجيئه • ان علمتم انه بار هو ، فاعلموا ان كل
من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٨، ٢٩) •

هنا شرط آخر للثقة ، وهو أن نكون ثابتين في المسيح • فان لم
نثبت في المسيح ، لا تكون لنا ثقة ، ونخجل منه في مجيئه • • • انه
تعليم واضح •

هل تقول اذن : أنا خلصت ، انى واثق ، أنا ضامن للملكوت !! •
بينما ضميرك يوبخك على سلوك معين ، أو أنت غير ثابت في المسيح •
حينئذ تكون في موقف من يخدع نفسه ، أو من يتكلم كلاماً في الهواء •

أتريد أن تكون لك ثقة ؟ اثبت في المسيح • وان أردت أن تعرف
ما معنى الثبات فيه ، تعال بنا نسأل الكتاب ونسترشد به :

يقول بولس الرسول « اثبتوا اذن في الحرية التي قد حررنا المسيح
بها ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية » (غل ٥ : ١) • أى لا تسمح
لأية خطية أن تستعبدك •

وماذا أيضاً في معنى الثبات ؟

يقول يوحنا الرسول موضعاً « كل من يثبت فيه لا يخطيء • كل
من يخطيء ، لم يبصره ولا عرفه » (١ يو ٣ : ٦) • اذن ان كنت

تخطئ ، فانت غير ثابت فيه . وان كنت غير ثابت فيه ، فلا تكون لك ثقة . وحينئذ تخجل منه في مجيئه .

ما أسهل اذن أن تقول انى واثق ، أو تقول انى ضامن للملكوت ، دون أن تقدر ما يقوله الكتاب في شرح معنى هذه الثقة ، التى تتطلب منك أن لا تخطئ . . .

يؤكد يوحنا الرسول هذا المعنى ، فيقول في نفس رسالته : « من يحفظ وصاياہ يثبت فيه ، وهو فيه » (١ يو ٣ : ٢٤) . هذا هو الثبات المتبادل ، يأتى عن طريق حفظ الوصايا .

ولكن الى أية درجة يحفظ الانسان الوصايا ؟ يجيب الرسول : « من قال انه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك يسلك هو ايضا » (١ يو ٢ : ٦) .

من يجرؤ بعد هذا النص الصريح أن يقول انه ثابت في الرب ؟ !
وان كنا غير ثابتين ، فكيف اذن تكون لنا ثقة ، ولا نخجل منه في مجيئه .
اذن بدلا من عبارة انى واثق ، وانى ضامن ، يحسن بعد هذا كله ، أن نقف مع العشار المتسحق ، ليقرع كل منا قلبه ويقول « ارحمنى يا رب فانى خاطيء » (لو ١٨ : ١٣) .

تستطيع أن تقول انك واثق وانك ضامن الملكوت ، ان كنت على الدوام ثابتا في المسيح ، كما سلك هو تسلك أنت ايضا . أو على الأقل ان كنت على الدوام تحفظ وصاياہ ، وتفعل في كل حين ما يرضيه .
لأن الرسول يقول « وأما الذى يصنع مشيئة الله ، فيثبت الى الأبد » (١ يو ٢ : ١٧) . ويقول ايضا « ان ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم ايضا تثبتون في الابن وفي الآب » (١ يو ٢ : ٢٤) .

ورب المجد نفسه يشرح لنا أهمية الثبات فيه ، فيقول « ان كان أحد لا يثبت في ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق » (يو ١٥ : ٦) .

أتريد اذن أن تثبت فيه كالغصن ، وتسرى فيك عصارة الكرمة فلا تجف ، ولا تلقى الى النار فتحترق ، اسمع الرب يقول ، « من يأكل جسدى ويشرب دمي ، يثبت في وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) . وماذا ايضا يا رب ؟ يقول « ويحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٨) .

اذن فمن شروط الثقة : راحة الضمير ، والثبات في الرب ، بكل ما يعمل هذان الشرطان من تفاصيل . فما هو الشرط الثالث اذن ؟ انه :

٣ - شرط المحبة الكاملة :

قال الرسول انه من ضمن شروط الثقة ، أن يثبت الانسان في الله ، ولكي يثبت في الله ، ينبغي أن يثبت في المحبة ، لأن الله محبة . وهكذا قال القديس يوحنا الحبيب « الله محبة . من يثبت في المحبة يثبت في الله ، والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦) .

فان ثبت الانسان في محبة الله ، وتكاملت محبته ، حينئذ تكون له ثقة . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « بهذا تكملت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين » (١ يو ٤ : ١٧) .

وكيف نثبت في محبة الله ؟ يقول الرب نفسه « ان حفظتم وصاياي ، تثبتون في محبتي ، كما اني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته » (يو ١٥ : ١٠) . لكي نصل اذن الى المحبة الكاملة التي تجلب الثقة ، علينا بلا شك أن نكون كاملين في حفظ وصايا .

وطبيعي اننا ان وصلنا الى هذه الثقة كنتيجة للمحبة الكاملة ، حينئذ لا نخاف بل نطمئن . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « لا خوف في المحبة . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) .

فهل وصلت أيها الأخ الى المحبة الكاملة ؟ هل أصبحت تعب الرب من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؟ وهل في محبتك لله أصبحت تبغض العالم بكل ملاذه وشهواته وأمجاده ، وتبغض حتى نفسك ؟ ان كنت كذلك ، وان استمر الحال بك كذلك ، فطوباك . لك أن تثق ، طالما أنت ثابت في هذه المحبة الكاملة .

كلمة ختامية :

اذن فالثقة كما يشرحها معلمنا القديس يوحنا الرسول ، لها شروط . ومن شروطها أن يحفظ الانسان وصايا الله ويعمل كل حين ما يرضيه ، حتى يرتاح بذلك ضميره ، ولا يلومه قلبه على شيء . ومن شروطها الثبات في المسيح ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى . ومن شروطها

الوصول الى المحبة الكاملة من نحو الله ، حتى تستطيع المحبة ان تطرح
الخوف الى خارج .

ان وصول الانسان الى هذه الدرجات ، تكون له الثقة الكاملة ،
ويصل الى « يقين بولس » الذي يتغنون به ، والذي سنشرحه الآن .
صدقوني ، ان كثيراً من الذين يقولون انهم واثقون وضامنون ،
تفكيرهم سطحي جداً ، ولم يصلوا الى الفهم الحقيقي لمعنى هذه الثقة
كما شرحها القديس يوحنا الرسول .

الثقة واليقين

في رسائل بولس الرسول

١ - يقين بولس واكليمه :

يقولون انهم واثقين من الخلاص لأن بولس الرسول قد قال «واخيراً
وضع لي آكليل البر » (٢تى ٤ : ٨) . وايضاً لأنه قال « لأننى عالم
بما أمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعته الى ذلك اليوم » (٢تى
١ : ١٢) .

أ - من قال هذا الكلام ؟ :

أول شيء ينبغى أن نعرفه هو : من قال هذه العبارات ؟ لقد قالها
بولس الرسول وهو من أكبر الرسل بلا منازع ، بولس الذي قال «مع
المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » (غلا ٢ : ٢٠) .
بولس الذي قال « فاني متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة
ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ، ولا علو
ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في
المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

لقد قال هذا الكلام بولس الذي اختطف الى السماء الثالثة ...
الذي أشفق الله عليه من فرط الاعلانات (٢كو ١٢ : ٢، ٧) ...

فهل أيها الواثق تشبه بولس الرسول فيما وصل اليه من سمو
وروحانية ونعمة ؟! لا يجوز مطلقاً أن تأخذ حالة القديسين وتنسبها

الى نفسك . ان كان بولس موقناً ، فليس معناه أنك كذلك . . . ثم هناك نقطة أخرى وهي :

ب - متى قال القديس بولس هذا الكلام ؟ :

قال مار بولس هذه العبارات وهو في أواخر أيامه لذلك قال قبلها مباشرة « فاني أنا الآن أسكب سكباً ، ووقت انحلالى قد حضر » (٢ : ٤ : ٦) - وقال هذا أيضاً بعد أن جاهد الجهاد الحسن ، وأكمل السعى ، وحفظ الايمان « (٢ : ٤ : ٧) -

ولا مانع مطلقاً - بالنسبة الى انسان يار قديس في أواخر أيامه -
أن يعطيه الرب ثقة ورجاء ، أو أن يجعله يرى الاكليل الذى ينتظره ،
كما كان بعض الشهداء يرون أكليلهم قبل سفك دمائهم من أجل المسيح .
ومع ذلك فلننصح هاتين العبارتين بالتدقيق ، ونرى على أى شيء يدلان -

ج - « انى موقن أنه قادر » :

يقول بولس الرسول أنه موقن بأن الله قادر أن يحفظ وديعته ،
فماذا تعنى هذه العبارة ؟ لا شك أن الله قادر على أن يحفظ وديعة
أى انسان ، ولكن ماذا عن الانسان ذاته ؟ في أى اتجاه تسير ارادته ؟ -

ان الله قادر ، وربما أنت لا تريد . . . الله قادر أن يحفظ وديعتك ،
وأنت ربما تلقيها بحرية ارادتك الى الجحيم . . . ألم يقل « كم مرة
أردت . . . ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) -

ان قدرة الله أمر لا يشك فيه أحد . ولكن قدرة الله لا تلغى حرية
ارادتك . بالنسبة الى مار بولس الرسول ، كانت حرية ارادته متفقة
اتفاقاً كاملاً مع قدرة الله على حفظ وديعته - فهل أنت كذلك ؟!

نتناول بعد هذه العبارة الأخرى التى قالها الرسول :

د - « أخيراً وضع لى اكليل البر » :

قال بولس الرسول « أخيراً قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى في
ذلك اليوم الرب الديان العادل » . قال ان الاكليل قد وضع ، ولم
يقُل أنه قد أخذ الاكليل ، فالاكليل موضوع يأخذه البار في ذلك اليوم .

وكم من أشخاص وضع لهم هذا الاكليل وفقدوه .
لذلك ينذر الرب ملاك كنيسة فلادلفيا ، قائلا له « تمسك بما عندك ،
لئلا يأخذ أحد اكليلك » (رؤ ٣ : ١١) .

هـ - ماذا قال الرسول في نفس رسالته ؟ :

ان بولس الرسول الذي قال العبارات السابقة في رسالته الثانية
الى تيموثيئوس ، قال أيضاً في نفس الرسالة « صادقة هي الكلمة انه
ان كنا قد متنا معه ، فسنحيا أيضاً معه . ان كنا نصبر ، فسنملك
أيضاً معه . ان كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا » (٢ تي ٢ : ١١ ، ١٢) .

ففى قوله « ان كنا - - - » دليل على أن الأمر في خلاصنا لا يتوقف
على الله فقط ، بل علينا نحن أيضاً . ان الله عملاً في خلاص الانسان ،
كما أن للانسان عملاً أيضاً . ولو كان الأمر هو عمل الله وحده ،
لزالت بذلك حرية الانسان .

كما نلاحظ أن عبارة « ان كنا ننكره ، فهو أيضاً سينكرنا » دليل
على أن الانسان يمكن أن يفقد خلاصه .

٢ - الثقة بالدخول الى الأقداس :

ان الذين يتحدثون عن ضمان الملكوت يعتمدون على قول بولس
الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع - - -
لنتقدم بقلب صادق في يقين الايمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ،
ومغتسلة أجسادنا بماء نقي » (عب ١٠ : ١٩ - ٢١) .

ان هذا النص يتحدث عن ثقة الدخول ويقين الايمان ، بشروط
أساسية . فعبارة « مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير » تدل على ضرورة
النقاوة والتوبة . وعبارة « مغتسلة أجسادنا بماء نقي » تدل على
ضرورة المعمودية للغلاص .

فهل اكتفى القديس بولس بكلامه هذا ، وبهذين الشرطين فقط ؟ كلا ،
اتنا ان قرأنا باقي كلامه ، نرى عكس ما يدعيه هؤلاء الوثائقون !
يتابع الرسول كلامه فيقول « لنتمسك باقرار الرجاء راستخا ، لأن
الذي وعد هو أمين » . ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة
والأعمال الصالحة .

فما لزوم أهمية المحبة والأعمال الصالحة في موضوع الثقة هذا ؟
ان القديس بولس يدلل بكلامه على أن الثقة في « الدخول الى الأقداس
بدم يسوع » انما تعتمد على أعمال الانسان وسلوكه أيضاً - والا
تزعزعت هذه الثقة وانهارت انهياراً مريعاً .

ولذلك يتابع الرسول كلامه معذراً ومنذراً : « فانه ان أخطأنا
ياختيارنا - بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ،
بل قبول دينونة مخيف ، وغيره نار عتيدة أن تأكل المضادين » (عب ١٠ : ٢٦، ٢٧) .
أين الثقة اذن ، مع وجود هذه الدينونة المخيفة ،
ان أخطأنا ؟ ألا يستلزم الأمر اذن غاية الاحتراس والحيطه ، والسلوك
في مخافة وانسحاق ، ان كنا نريد أن نتقدم الى الأقداس في ثقة .

ذلك لأن الرسول الذي تحدث عن هذه الثقة بدم المسيح ، نراه
لا ينسى مطلقاً عدل الله . بل يتابع كلامه قائلاً « فأننا نعرف الذي
قال لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب . وأيضاً الرب يدين شعبه مخيف
هو الوقوع في يدي الله الحي » (عب ١٠ : ٣٠، ٣١) .

ان هذا يذكرنا بما نعرفه عن البروتستانت من خطورة استخدامهم
للآية الواحدة . كان أجدر بهم في معالجة هذا النص المقدس من أقوال
مار بولس الرسول ، أن لا يأخذوا الآية الأولى من الاصحاح مكتفين
بها ، دون أن يتابعوا كلام الرسول حتى نهايته .

ليتهم فعلوا ذلك ، اذن لرأوه يقول أيضاً في موضوع الثقة :

« فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة ، لأنكم تحتاجون الى
الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٥، ٣٦) .
حقاً « ان الذي وعد هو أمين » ، ولكن نوال الموعد يتوقف على صنع
مشيئة الله ، فأننا بلا شك لا ننال الموعد ، ولا تكون لنا ثقة .

ما معنى هذا ؟ هل معناه أن الله قد رجع في هباته التي هي بلا تدامة
(رو ١١ : ٣٩) ؟ كلا ، ان هبات الله هي حقاً بلا تدامة ، ولكن لها
شروطاً . فاذا لم تنل هباته ، لا يكون هو الذي رجع في هباته ، وانما
تكون أنت الذي خالفت الشروط . ان الله أمين في وعده . ولكنه قال
لنا على فم رسوله بولس « اذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد »
(عب ١٠ : ٣٦) .

وواضح ان عمل مشيئة الله يستغرق العمر كله • لذلك قال الرسول
« لأنكم تحتاجون الى الصبر » • ومعنى هذا أن نصبر العمر كله في
مرضاة الله ، حتى ننال مواعده ••

يظهر من كلام القديس بولس الرسول في هذا الاصحاح اذن أن
« الثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » تحتاج الى أمور كثيرة :
تحتاج الى قلب صادق ، وحياة توبة ونقاوة ، وأجساد مفصلة بماء
المعمودية النقي ، كما تحتاج الى التحريض على المحبة والأعمال الصالحة ،
والى صنع مشيئة الله ، والصبر على كل ذلك ، والاحتباس من فعل
الخطيئة ، والا فان أخطأنا باختيارنا ، نتعرض لدينونة مخيفة ،
ومخيف هو الوقوع في يدي الله الحي •

٣ - الاجتهاد والصبر ، لحفظ الثقة :

ان الصبر الذى تحدث عنه بولس الرسول في قوله « فلا تطرحوا
ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون الى الصبر ، حتى اذا صنعتم
مشيئة الله تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) • يعود فيتحدث عنه
مرة أخرى قائلا :

« ••• لكننا نشتهى أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه
ليقين الرجاء الى النهاية » (عب ٦ : ١١) • اذن فيقين الرجاء يحتاج
الى اجتهاد يظهره الانسان ، حتى النهاية • والى ماذا أيضاً؟ يتابع الرسول
كلامه فيقول « لكى لا تكونوا متباطئين ، بل متمثلين بالذين بالايمان
والأناة يرثون المواعيد » (عب ٦ : ١٢) •

هنا نرى بولس قد أضاف الى الايمان شيئاً آخر ، هو الأناة أى
الصبر ، وقال بهما ننال المواعيد •••

الم يقل الرب من قبل « بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو ٢١ : ١٩) ؟
وقال أيضاً « من يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) •

اننا نلنا خلاصاً بالايمان في المعمودية • ولكن هذا الخلاص تتضافر
قوى كثيرة ضده لكيما تفقدنا اياه : فضده ارادتنا الضعيفة التى تميل
كثيراً الى الشر ، وعدونا الذى «يجول مثل أسد زائر يلتمس من يبتلعه

هو « (١ بط ٥ : ٨) . وضد خلاصنا أيضاً الخطية التي « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) .

ونحن محتاجون في كل ذلك أن « نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) . ولذلك يقول الكتاب « انظروا الى نهاية سيرتهم ... » (عب ١٣ : ٧) .

٤ - الذي بدأ فيكم عملاً ، فهو يكمل :

ان الذين ينادون بالثقة وضمان الملكوت ، يعتمدون على قول القديس بولس الى أهل فيلبى « واثقاً بهذا عينه ، أن الذي ابتدا فيكم عملاً صالحاً ، يكمل الى يوم يسوع المسيح » (في ١ : ٦) .

نعيد ما قلناه سابقاً ان الله قادر أن يكمل فينا . ولكن ماذا عن موقفنا نحن ؟! ان الغلاطيين الأغبياء كان الله قد بدأ فيهم عملاً صالحاً ، ومع ذلك فان بولس الرسول يقول لهم : « أهكذا أنتم أغبياء ، أبعدما ابتدأتم بالروح ، تكملون الآن بالجسد » (غل ٣ : ٣) - انهم هنا هم الذين سيكملون بالجسد ولا يتركون له فرصة أن يكمل فيهم عملاً صالحاً .

أما من جهة أهل فيلبى ، فمع ثقة بولس الرسول ، نراه يصلى من أجلهم أن تزداد محبتهم ، ويزدادوا في كل فهم ، لكي يكونوا « مخلصين وبلا عشرة الى يوم المسيح مملوئين من ثمر البر » (في ١ : ٩-١١) . فمع أن المسيح قادر أن يكمل ، الا أن عليهم هم عملاً ، أن يكونوا بلا عشرة حتى النهاية ، كما أوصاهم قائلاً « عيشوا كما يحق لانجيل المسيح » (في ١ : ٢٧) .

وقال لهم انه « قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله » . اذ لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه في والآن تسمعون في » (في ١ : ٢٩ ، ٣٠) .

فما معنى هذا كله ؟ وما دام الله سيكمل ما بدأه فيهم ، فما لزوم كل تلك النصائح : أن يزدادوا في المحبة والفهم ، وأن يكونوا بلا عشرة ، مملوئين من ثمر البر ، وأن يعيشوا كما يحق لانجيل المسيح ، وأن يتألموا لأجله ، ويكون لهم نفس جهاد القديس بولس ؟!

ذلك لأنه كما أن على المسيح جانباً في خلاصهم ، كذلك هم أيضاً عليهم جانب يجب أن يتموه . لذلك قال لهم « تمعوا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢ : ١٢) . ان المسيح سوف لا يكمل العمل وحده ، وانما سيكمله بهم وفيهم ومعهم . ان الله لا يأخذ الناس عنوة ويلقيهم في الملكوت ، وانما لا بد أن يعملوا معه .

لذلك نجد أن الرسالة الى فيلبى هي أكثر رسالة يقول فيها بولس الرسول انه يسعى لكى يدرك (في ٣ : ١٢، ١٤) .

وقد شرح لهم بولس في نفس الرسالة مثالا من أولئك الذين بدأوا ولم يكملوا حسناً ، فكانت نهايتهم الهلاك . وأصبح الرسول يذكرهم باكياً . وقد طلب منهم بولس الرسول أن يتمثلوا به في سعيه وجهاده ولا يتمثلوا بأولئك الهالكين (في ٣ : ١٧) .

كلمة ختامية في موضوع الثقة :

ما أجمل قول سليمان الحكيم في هذا المجال « الحكيم يخشى ويعيد عن الشر ، والجاهل يتصلف ويثق » (أم ١٤ : ١٦) . لذلك فان معلمنا بولس الرسول ينصح قائلا « لا تستكبر بل خف » (رو ١١ : ٢٠) . وقد نصح أهل فيلبى قائلا : « تمعوا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٣ : ١٢) . ويضم بطرس الرسول صوته الى هذه النصيحة قائلا « ان كنتم تدعون أباً الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) .

ما دامت هناك ثقة ، وهناك يقين ، وهناك ضمان للملكوت ، فما معنى الخوف اذن والرعدة ؟! لماذا لا يعتمد الانسان على وعود الله ويطمئن ؟ نعم اننا نطمئن من جهة وعود الله ، ولكننا لا نطمئن من جهة أنفسنا .

ولذلك مزج الرسول الحديث عن المواعيد الالهية بالحديث عن المخافة ، فقال « فاذا لنا هذه المواعيد أيها الأحباء ، لنظهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة في خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) .

الفصل الخامس

هل يمكن أن يهلك المؤمن ؟

يمكن أن يسقط المؤمن :

لعل من أشهر الأمثلة على ذلك بعض ملائكة الكنائس السبع التي في آسيا ، هؤلاء ولا شك كانوا مؤمنين • وقصص سقوطهم سنشرحها في الصفحات المقبلة ان شاء الله •

وما أسهل أن نورد العديد من الأمثلة عن الأتبياء والقديسين الذين سقطوا • على أننا سوف لا نطيل في هذه النقطة لأن غالبية جماعات البروتستانت وخلص النفوس والبليموث ، يوافقون على أن المؤمن يمكن أن يسقط • ولكنهم يقولون لا يمكن أن يهلك •

فلتكن هذه النقطة الأخيرة (امكانية هلاك المؤمن) هي موضوع بحثنا واثباتنا •

كلمة « مؤمن » وكلمة « مختار » :

ان المختارين كلهم من المؤمنين، ولكن المؤمنين ليسوا كلهم مختارين فقد يسقط بعضهم ويهلك • ومغالطة البروتستانت هي انهم - كلما نورد لهم قصة مؤمن هلك - يجادلون قائلين كلا انه لم يكن مؤمناً • لو كان مؤمناً ، ما كان قد هلك • [انظر الفرق بين عبارتي المؤمنين والمختارين ص ٣٣ - ٣٦] وسنحاول في هذا البحث أن تثبت اثباتاً قاطعاً ايمان كل مثل من الأمثلة التي نوردها لمن هلكوا •

الاثبات الأول

رو ١١ ، يو ١٥

مثال الغصن الذي يقطع :

بعد أن شبه بولس الرسول اليهود بأغصان طبيعية قد قطعت من أصل الزيتونة ودمسها ، قال « ستقول : قطعت الأغصان لأطعم أنا •

حسناً ، من أجل عدم الايمان قطعت ، وأنت بالايمان ثبت » (رو ١١ : ١٩ ، ٢٠) . واضح هنا أنه يكلم مؤمناً ، قد ثبت في الزيتونة ، وطعم فيها ، وصار شريكاً في أصل الزيتون ودمها » (رو ١١ : ١٧) .
فماذا تراء يقول لهذا المؤمن ؟

انه يقول لهذا المؤمن « لا تستكبر بل خف » لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً . فهذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . وأما اللطف فلك ، ان ثبت في اللطف . والا فأنت أيضاً ستقطع » (رو ١١ : ٢٠ ، ٢٢) .

والعبارة الأخيرة « أنت أيضاً ستقطع » ، هي إنذار لهذا المؤمن بإمكانية هلاكه ، ان لم يثبت في لطف الله .

● يشبه هذا المثال ما قاله السيد المسيح في تشبيه نفسه بالكرمة ، وتشبيهنا نحن بالأغصان . فالأغصان التي في الكرمة تدل على المؤمنين ولا شك . لأن الغصن هو عضو من أعضاء الكرمة ، تسرى فيه عصارته . فهل يمكن أن يهلك ؟

يقول السيد الرب « كل غصن في لا يأتى بثمر ينزعه . . . ان كان أحد لا يثبت في ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويجمونه ويطرحونه في النار ، فيحترق » (يو ١٥ : ٦ ، ٢) . وهذا معناه أن مثل هذا المؤمن غير المثمر سيهلك لا محالة .

البركات الثانية

(عب ٣ و عب ٤) .

مثال الشعب العاصي في البرية :

يتحدث مار بولس الرسول في هذين الاصحاحين الى « الاخوة القديسين ، شركاء الدعوة السماوية » (عب ٣ : ١) . فهل هؤلاء القديسون كانوا من المؤمنين ، أم لم يكونوا ؟ طبعاً أنهم كانوا مؤمنين ولا شك . هؤلاء يحذرهم الرسول من الارتداد عن الله الحي » (عب ٣ : ١٢) . وطبعاً التحذير من الارتداد إنما يوجه الى المؤمنين ، وليس الى غير المؤمنين .

هؤلاء الاخوة القديسون ، المؤمنون ، شركاء الدعوة السماوية ، يقول لهم الرسول « لذلك كما يقول الروح القدس : اليوم ان سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ، كما في الاسخاط يوم التجربة في القفر » (عب ٣ : ٨٠٧) . فما هو يوم الاسخاط هذا ؟ وما الذى حدث فيه ؟ وعلى أى شيء يدل في قضيتنا هذه ؟

ان الذين اسخطوا الرب ، هم الشعب العاصى في البرية ، الذين مقتهم الرب اربعين سنة وقال « أقسمت في غضبى : لن يدخلوا راحتي » (عب ٣ : ١١) . وهكذا هلكوا في البرية ، وسقطت جثثهم في القفر .

هؤلاء الذين سخطوا ، الذين أقسم الله أنهم لن يدخلوا راحته ، الذين اسخطوا الرب في القفر ، هل كانوا قد نالوا الخلاص قبلًا أم لم ينالوه؟ يجيب بولس الرسول فيقول « فمن هم الذين اذ سمعوا اسخطوا؟ أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى » (عب ٣ : ١٦) .

انهم نالوا الخلاص الأول : انقذهم الرب من العبودية ، وشق لهم البحر الأحمر ، واجتازوا في وسط الماء - الذى يرمز الى المعمودية - وعبروا البحر . ولكنهم مع كل ذلك هلكوا في القفر ، وفقدوا الخلاص الذى نالوه ، وأقسم الرب أنهم لن يدخلوا راحته .

أليس هؤلاء يقدمون مثالا واضحا عن المؤمنين الذين يهلكون ؟ ان هؤلاء العصاة يمثلون بلا شك الذين يرتدون بعد الايمان فيهلكون . وقد هلكوا بسبب العصيان . وأرض الموعد دخلوها أناس آخرون . « والذين بشروا أولا ، لم يدخلوا بسبب العصيان » (عب ٤ : ٦) .

هذا العصيان الذى يمنع من الدخول الى راحة الرب ، يحذرنا منه الرسول قائلا « فلنجهتد ان ندخل تلك الراحة لتلا يسقط أحد في عبوة العصيان هذه عينها » (عب ٤ : ١١) .

بل انه يقول أكثر من هذا « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) .

ان قصة هذا الشعب العاصى الذى فقد خلاصه الأول وهلك انما اعطيت لنا مثالا لتتعض، ونذكر أنه من الممكن أن يفقد المؤمن خلاصه . « وهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالا ، وكتبت لئلا نذارنا ، نحن الذين

انتهت الينا أواخر الدهور . اذن من يظن أنه قائم فلينظر لتلا يسقط »
(١ كو ١٠ : ١١ : ١٢) .

● ان قصة هلاك هذا الشعب العاصي ، تذكرنا بامرأة لوط
التي خلصت من سدوم وهلكت خارجاً . لذلك يقول الكتاب « اذكروا
امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) .

الإثبات الثالث

(عب ١٠ : ١٩ - ٢٢) .

ان أخطانا باختيارنا ، بعد معرفة الحق :

يتكلم بولس الرسول مع نفس « الاخوة القديسين شركاء الدعوة
السماوية » (عب ٣ : ١) ، الذين بعدما أنيروا صبروا على مجاهدة
آلام كثيرة ، والذين رثوا لقيود الرسول ، وقبلوا سلب أموالهم بفرح ،
عالمين في أنفسهم أن لهم مالا أفضل في السموات وباقياً (عب ١٠ : ٣٢ ، ٣٤)
فماذا يقول لهؤلاء الذين يبدأ حديثه معهم قائلاً « اذ لنا أيها الاخوة
ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » ؟

انه يقول لهم « فانه ان أخطانا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق
لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف وغيره نار
عقيدة أن تاكل المضادين . . . فاننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا
أجازي يقول الرب وأيضاً الرب يدين شعبه مخيف هو الوقوع في يدي
الله الحي » (عب ١٠ : ٢٦ - ٣١) .

هذا الانذار بالهلاك لمن يغطيء من هؤلاء الاخوة المؤمنين القديسين ،
يعطينا فكرة عن امكانية هلاك المؤمن . لأن بولس الرسول يقول فيه
« فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله ، وحسب
دم العهد الذي قدس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة » (عب ١٠ : ٢٩) .
نلاحظ هنا أن عبارة « دم العهد الذي قدس به » ، تدل على أن هذا
الهالك كان مؤمناً ، قد تقديس قبلاً بدم العهد ! .

الآيات الرابع

أمثلة من هلاك المرتدين :

- هؤلاء المرتدين كانوا من قبل مؤمنين ، ثم ارتدوا وهلكوا .
- والأمثلة في الكتاب المقدس كثيرة توضح هلاكهم .

● يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيوس « ولكن الروح يقول صريحاً انه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين ، في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج ، وأمرين أن يمتنع عن أطمعة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق » (١ : ٣ - ٤) .

هؤلاء الذين تبعوا أرواحاً مضلة وتعليم شياطين ، قد هلكوا بلا شك . ومع ذلك فإن عبارة « يرتد قوم عن الايمان » تدل على أنهم كانوا مؤمنين من قبل - وهذا مثل واضح عن امكانية هلاك المؤمن ، اذا ارتد ، ينطوي تحته جميع الهرطقة والمبتدعين -

● ومن أمثلة المرتدين ما ورد في مثل الزارع ، اذ قال الرب « والذين على الصخر ، هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح - وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفي وقت التجربة يرتدون » (لو ٨ : ١٣) . لا يمكن أن نصدق أنه يكون خلاص لأولئك الذين على الصخر ، الذين يرتدون وقت التجربة ومع ذلك فقد سماهم المسيح نفسه مؤمنين ، ولو الى حين .

● ومن أخطر أنواع الارتداد ، ذلك الارتداد العام الذي سيحدث قبل مجيء المسيح ثانية . وفي ذلك يقول الرسول عن مجيء المسيح الثاني « لا يخدعنكم أحد على طريقة ما . لأنه لا يأتي (أي المسيح) ان لم يات الارتداد أولاً ، ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل من يدعى الها » (٢ تس ٢ : ٣) - ولا شك أنه في هذا الارتداد العام سيهلك كثير من المؤمنين الذين يرتدون عن الايمان -

ومن أمثلة الهرطقة المبتدعين الفاسدين ، الذين يرتدون ويهلكون ، ما قال عنهم بطرس الرسول لأنه اذا كانوا بعدما نجوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب المخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضاً فيها

فينقلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل • لانه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم » (٢ بط ٢ : ٢٠ ، ٢١) •

الإثبات الخامس

(عب ٦ : ٤ - ٨) •

الذين استنبروا وسقطوا :

يقول بولس الرسول « لأن الذين استنبروا مرة ، وذاقوا الموهبة السمائية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة ، وقوات الدهر الآتى وسقطوا ، لا يمكن تجديدهم أيضاً (ثانية) للتوبة . . . » •

ان الصفات الأولى تدل على ايمان هؤلاء والعبارة الأخيرة تدل على هلاكهم • وهذا اثبات واضح على امكانية هلاك المؤمن • على أن البروتستانت - للأسف الشديد - يحاولون أن يزعموا أن هؤلاء لم يكونوا مؤمنين!!! على الرغم من استنارتهم وشركتهم مع الروح القدس ومذاقهم المواهب والقوات وكلمة الله !! •

ولسنا نريد أن نجادلهم كثيراً ، وانما يكفي أن نقول ان نص الآية يدل على ايمانهم • فعبارة «لا يمكن تجديدهم ثانية» دليل واضح على أنه قد سبق تجديدهم من قبل ، أى أنهم كانوا مؤمنين •

وهلاكهم واضح في تشبيه الرسول لهم بأرض « مرفوضة ، وقريبة من اللعنة التى نهايتها الحريق » (ع ٨) •

الإثبات السادس

يقين يحتاج الى ثبات ، وله شروط :

● قال القديس بطرس الرسول « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة » (٢ بط ١ : ١٠) •

اذن فاختيار الله لنا ، ودعوته لنا ، كل ذلك يحتاج منا الى اجتهاد
بالأكثر ، لكي يكون هذا الاختبار ثابتاً ... والا ، فان الاختيار
لا يثبت ! ...

● يشبه هذا أيضاً قول القديس بولس « وبئته نحن ، ان تمسكنا
بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة الى النهاية » (عب ٣ : ٦) .

كان هذه الثقة يمكن أن تثبت أو لا تثبت، وتحتاج الى أن تتمسك
بها حتى النهاية .

ويعود الرسول فيقول أيضاً « لأننا قد صرنا شركاء المسيح
ان تمسكنا ببداية الثقة ثابتة الى النهاية » (عب ٣ : ١٤) . هنا شرط
واجب علينا ، أن نتمسك ، حتى النهاية ... ويتابع الرسول كلامه
فيحذرنا من أن نقسى قلوبنا والا يحدث لنا كما حدث للشعب العاصي
الذي هلك في القفر .

● هذا الشرط الواجب علينا ، يكرره الرسول مرة أخرى في قوله
« ... ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه ، أن تثبت على الايمان
متأسسين وراسخين وغير متنقلين عن رجاء الانجيل » (كو ١ : ٢٢ ، ٢٣)

● انه خلاص من الرب ، لنا رجاء فيه ، ولكن الرسول يندرنا قائلاً
« كيف تنجو نحن ان أهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢ : ٣) .
اذن يمكن أن نهمل الخلاص ، فلا تنجو ...

الإثبات السابع

(رؤ ١٣ : ٧) .

ما أخطر ما قيل في سفر الرؤيا عن الوحش انه « أعطى أن يصنع
حرباً مع القديسين ويغلبهم » ! ... وعبارة « قديسين » تعني ولا شك
أنهم مؤمنون .

فان كان ممكناً أن يغلب القديسون ، فلنحذر نحن ، ولنداوم على
الطلبية باستمرار لكي يرحمنا الرب ، فلا نهلك ..

الإثبات الثامن

هلاك ديماس مساعد القديس بولس :

كان ديماس أحد مساعدي بولس الرسول ، ذكره في رسالته الى كولوسي « يسلم عليكم لوقا الطيب الحبيب وديماس » (كو ٤ : ١٤) .
وفي رسالته الى فليمون قال « يسلم عليكم مرقس وارسترخس وديماس ولوقا ، العاملون معي » (فل ٢٤) .

يذكره هنا ضمن ثلاثة من أكبر الكارزين العاملين معه منهما اثنان من الانجيليين الأربعة . واسم ديماس يسبق اسم القديس لوقا الانجيلي .
فهل مع كل ذلك لم يكن مؤمناً .

ومع كل ذلك ، فان ديماس المؤمن ، الكارز العظيم ، قد هلك .
وقال عنه مار بولس « ديماس قد تركني اذ أحب العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ١٠) والبروتستانت يقولون في كتبهم أنه — بعد تركه القديس بولس — صار كاهناً وثنياً !! .

بأقلى الإثباتات

حرصاً على عدم التكرار ، انظر ما يتعلق بهذا الموضوع من الأدلة التي وردت في باب « الدينونة حسب الأعمال » . . .

★ ★ ★

اعتراضات ، والرد عليها

الاعتراض الاول

+ (يو ١٠ : ٢٧ - ٢٩) •

لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي

اول اعتراض لهم على امكانية هلاك المؤمن هو قول الرب : « خرافي تسمع صوتي ، وأنا أعرفها ، فاتبعني - وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدي • أبي الذي أعطاني اياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد أبي » •

فما معنى هذا النص ؟ ليتنا نتأمله جيداً :

اولاً : هؤلاء الذين لا يهلكون أول صفة ذكرها عنهم الرب أنهم خراف • والسيد المسيح يشبه الصالحين بالخراف ، كما يشبه الأشرار بالجداء • كما ذكر في يوم الدينونة أنه « يجمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار • ثم يقول الملك للذين عن يمينه : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٢-٣٤) •

فما دامت هذه خرافاً ، اذن هي عناصر صالحة • لأنها لو كانت شريرة لسماها جداء •

ثانياً : لقد وصف هذه الخراف بأوصاف البر منها :

أ - يقول انها تسمع صوتي ، وتتعبنى • وهذا معناه أنها تنفذ الوصايا وتعمل أعمالاً صالحة • وكلنا نوافق على أن الذي يسمع صوت الرب ويتبعه لا يمكن أن يهلك •

ب - وفي نفس الاصحاح وصف هذه الخراف بأنها « لا تتبع الغريب بل تهرب منه ، لأنها لا تعرف صوت الغرباء » (يو ١٠ : ٥) • وانها

لذلك لم تسمع صوت السراق واللصوص الذين أتوا قبله (يو ١٠: ٨) .
وهذا كله يعنى أن هذه الخراف الصالحة لا تنقاد وراء الشياطين ،
ولا وراء الأشرار .

وكل هذا يدل على الصلاح من ناحيتيه الايجابية والسلبية : تتبع
الرب ولا تتبع الغريب . تعرف صوت الرب ، وتميزه ، وتسمعه ،
وتتبعه . ولا تعرف صوت الغرباء ، ولا تتبعهم ، بل تهرب منهم .
لسنا نرى للصلاح أدلة أكثر من هذه ومع ذلك نذكر دليلاً آخر .

ثالثاً : « يقول خرافي تسمع صوتى وأنا أعرفها » . وهذه المعرفة
متبادلة ، لذلك يقول أيضاً في نفس الاصحاح « وأعرف خاصتى
وخاصتى تعرفنى ، كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب »
(يو ١٠ : ١٤) أية معرفة أقوى من هذه !!! . ويفصل
الرب هذه المعرفة بأنه « يدعو خرافه الخاصة بأسماء »
(يو ١٠ : ٣) .

هذه المعرفة تميز الصالحين عن الأشرار الذين يقول لهم الرب :
« انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » (مت ٧ : ٢٣) .
اذن فقد قال الرب عن الأشرار انه لا يعرفهم . . . يؤكد هذا أيضاً
قول الرب للمنادى الجاهلات « الحق أقول لكن انى ما أعرفكن »
(مت ٢٥ : ١٢) .

فما دام اذن يعرف هذه الخراف التى سوف لا تخطف من يده ولا من
يد الآب، اذن لا بد أن هؤلاء أنقياء القلب صالحون ، لأنهم لو كانوا
أشراراً لقال عنهم : انى لا أعرفكم .

نلخص اذن صفات أولئك المؤمنين الذين سوف لا يخطفون من يد
الآب :

انهم من الخراف لا من الجداء . أى انهم من الصالحين الأبرار . كما
أنهم يطيعون وصايا الله ، فيسمعون صوته ويتبعونه . كذلك هم
يبتعدون عن الشر والأشرار، اذ لا يسمعون لصوت الغريب ولا يتبعونه،
بل يهربون منه . نحن ولا شك نوافق أن مثل هذا النوع لا يهلك .

رابعاً : ماذا يفهم من عبارة لا يقدر أحد « أن يخطف من يد أبى » .
معناه أن القوات الخارجية لا تقدر أن تخطف من يد الآب ولكن

هذا لا يمنع من أن المؤمن وهو في يد الآب - كامل الحرية -
يمكن بإرادته أن يسقط .

ان الله لا يسمح لقوة خارجة أن تنتصر عليك وأنت في يده . ولكن
إرادتك الداخلية يمكن أن تهلكك ان أردت . لو قلت له أعن يا رب
ضعفى فانه يطرد عنك جميع القوى المعارضة . أما ان أردت بنفسك
أن تتركه فانه لا يرغبك على البقاء معه .

ما رأيكم في بعض خراف كانت في يد المسيح ، وضلت ، وسقطت ،
واحتاجت الى التوبة وقيل عن البعض ان له اسماً انه حي وهو ميت؟!
من أمثلة هؤلاء بعض الملائكة السبعة الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا

قال يوحنا الرائي أنه أبصر السيد المسيح في وسط المنائر السبع
التي هي السبع الكنائس . وكان «معه في يده اليمنى سبعة كواكب . . .
والسبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائس » (رؤ ١ : ١٦ ، ٢٠) .
وأول رسالة بدأها الرب بقوله « هذا يقوله المعسك السبع الكواكب
في يمينه » . اذن فهم ليسوا في يده فقط ، وانما في يمينه . وكلمة
يمين ترمز الى القوة « يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتني »
(مز ١١٧ : ١٥ ، ١٦) .

هؤلاء الذين هم في يمين الرب ، هؤلاء الجبابرة رعاة الكنائس ،
ماذا قال لهم الرب ؟ قال لهم كلاماً مخيفاً . .

قال لملاك كنيسة أفسس « . . . فاذاً من أين سقطت وتب ،
واعمل الأعمال الأولى . والا فاني آتيك عن قريب ، وأخرج منارتك
من مكانها » (رؤ ٢ : ٥) يا للهول !

وقال لملاك كنيسة ساردس « انا عارف أعمالك ، ان لك اسماً أنك
حي وأنت ميت » (رؤ ٣ : ١) . تصوروا أن هذا الملاك العظيم
المعسك به الرب في يمينه كان ميتاً ، واحتاج أن يقول له الرب « فاذاً
كيف أخذت وسمعت ، واحفظ وتب . فاني ان لم تسهر أقدم عليك
كلص . ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٥) . فليرحمنا الله
يا اخوتي كعظيم رحمته . اننا لسنا أقوى من هؤلاء الملائكة السبعة .

اسمعوا أيضاً الكلام المخيف الذي قاله الرب لملاك كنيسة لاودكيا
« هكذا لأنك فاتر ، ولست بارداً ولا حاراً ، انا مزعج ان أتقياك

من فمى ، (رؤ ٣ : ١٦) • انه تهديد بالهلاك • ويتابع الرب كلامه فيقول له « لأنك تقول أنى غنى ، وقد استغنيت ولا حاجة لى الى شىء • ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان » • وهكذا أشار الرب عليه أن يشتري ثياباً بيضاء حتى لا يظهر « خزى عريته » • وقال له أخيراً « كن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٧-١٩) •

فلا تعتمد ايها الأخ على أنك فى يد الله وتترك محبتك الأولى • فما اسهل ان تسقط من يمين الله ، ان أردت ذلك • لا يخطفك أحد من يده ، وانما أنت بارادتك قد تترك يد الله •

الاعترض السانى

+ (أف ١ : ١٣/١٤) •

خَتَمْتُ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ

انها آية أخرى يعتمد عليها المعترضون • وهى قول بولس الرسول :
« اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس ، الذى هو عربون ميراثنا ... » • فاعتبروا أن ختم الروح القدس هو عربون ميراث أبدي لا ينزع من الانسان •

والرد بسيط ان الذين ختموا بالروح القدس ، ما تزال لهم حرية ارادة • ولذلك يقول لهم الكتاب : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء » (أف ٤ : ٣٠) • ويقول لهم أيضاً « لا تطفئوا الروح » (١ تس ٥ : ١٩) • ويقول أكثر من هذا « من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية » (مر ٣ : ٢٩) • اذن فما يزال الأمر بيد الانسان الحر في ارادته • ان شاء أحزن الروح ، وان شاء أطلق الروح ، وان شاء جدف على الروح • لذلك نحن نصلى ونقول مع المرتل « روحك القدوس لا تنزعه منى » (مز ٥٠) •

ان شاؤك الملك الذى اختاره الرب ، ومسحه صموئيل بالدهن المقدس وحل عليه الروح القدس فتنبأ ، وتحول الى رجل آخر ، حتى

تعجب الناس قائلين « أشاول أيضاً بين الأنبياء » (١ صم ١٠ : ١١) ،
هذا قد عاد الرب فرفضه ، وفارقه روح الرب وبغته روح رديء من
قبل الرب (١ صم ١٦ : ١ ، ١٤) • وهلك شاول مرفوضاً من الله •

ليست العبرة في أوائل الانسان اذ يختم بروح الرب ، أو يحل عليه
روح الرب ، انما العبرة كيف تكون أواخره •

● مثل هذا الرد نجيب به أيضاً على من يعترضون بقول الرب :
« وأنا أطلب من الآب فيعطيك معزياً آخر ليملك معكم الى الأبد »
(يو ١٤ : ١٦) • ان الروح مستعد أن يملك معنا • ولكن اذا استمر
بنا الحال في احزان الروح واطفاء الروح ، أو في التجديف أخيراً على
الروح ، فمن الممكن أن ينزع منا •

الاعتراض الثالث

+ (لو ١٠ : ٢٠) ، (في ٤ : ٣) ، (رؤ ٢١ : ٢٧) •

أسماءكم قد كتبت في السموات

يعترض البعض على امكانية هلاك المؤمن ، بقول الرب لتلاميذه
السبعين « لكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا
بالحرى أن أسماءكم كتبت في السموات » (لو ١٠ : ٢٠) • وبقول
بولس الرسول في رسالته الى فيلبى « وباقي العاملين معى الذين
أسماءهم في سفر الحياة » (في ٤ : ٣) • أو بقول الوحي الالهى في سفر
الرؤيا « ولن يدخلها شئ دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً ، الا المكتوبين
في سفر حياة الحروف » (رؤ ٢١ : ٢٧) •

ما أسهل أن نقول ان هذه النصوص المقدسة ، وخاصة النص الأخير ،
انما يقصد بها المختارون • ولكن أوضح من هذا أن نقول في صراحة
تامة : انه من الممكن أن يكتب اسم شخص في سفر الحياة ، ثم يمحو
اسمه بعد ذلك •

وهذا واضح من كلام الرب لموسى النبى في سفر الخروج حينما قال
له موسى « والآن ان غفرت خطيئتهم ، والا فامحنى من كتابك الذى

كتبت « . » فقال الرب لموسى : من أخطأ الى أمعوه من كتابى « (خر ٣٢ : ٣٢ ، ٣٣) . »

ويقول الرب في سفر الرؤيا « من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاء ، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة » (رؤ ٣ : ٥) - اذن فهناك امكانية لمحو اسم انسان من سفر الحياة : الذى يغلب لا يمحو الرب اسمه ، والذى ينقلب يمكن أن يمحو الرب اسمه من سفر الحياة . وكما قال « من أخطأ أمعوه من كتابى » .

وقد قال أيضاً في آخر سفر الرؤيا « وان كان أحد يحذف من اقوال هذه النبوة ، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ، ومن المدينة المقدسة ، ومن المكتوب في هذا الكتاب » (رؤ ٢٢ : ١٩) .

الاعتراض الرابع

+ (غلا ٤ : ٧) .

نحن أولاد الله ، وورثة مع المسيح

يعترضون أيضاً بقول بولس الرسول « اذن لست بعد عبداً ، بل ابناً فان كنت ابناً ، قوارث لله بالمسيح » .

ان هذا الاعتراض يدعونا الى أن نبحث معاً ما هو المعنى الروحي لكلمة ابن : يقول يوحنا الرسول في تعريف كلمة ابن « ان علمتم انه بار هو ، فاعلموا ان كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) . فان قلت أيها الأخ انك ابن الله ، وبالتالي وارث لله بالمسيح ، فينبغى أن تبرهن على بنوتك ببرك . فان كنت لا تصنع البر فلست مولوداً منه .

يقول يوحنا أيضاً « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة ، لأن زرعه يثبت فيه - ولا يستطيع أن يخطيء ، لأنه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس (ظاهرون) . كل من لا يفعل البر فليس من الله » (١ يو ٣ : ٩ ، ١٠) ويكرر معلمنا يوحنا الحبيب هذا المعنى في الاصحاح الخامس من رسالته فيقول « تعلم أن كل من ولد من الله لا يخطيء ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه » (١ يو ٥ : ١٨) .

فهل أنت ابن بهذا المعنى الذى يشرحه يوحنا الرسول ؟ ان كنت كذلك فطوباك ، لا شك أنك وارث لله بالمسيح . أما ان كنت - اذا ناقشتك أحد في آية تتعلق بموضوع الخلاص - تتشاجر وتشتتم وترفع صوتك وتقيم ضجة ، ثم بعد ذلك تقول أنا ابن لله !! فاعلم أن أولاد الله لا يشتمون ، لأن الشتامين لا يرثون ملكوت الله (١ كو ٦ : ١٠) .

لا تفتخر باطلا أيها الأخ كما افتخر اليهود قديماً بينوتهم لابراهيم، فأخجلهم السيد المسيح بقوله « لو كنتم أولاد ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) . فلو كنت أنت ابناً لله ، ووارثاً مع المسيح ، « ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا تسلك أنت أيضاً » (١ يو ٢ : ٦) .

ان الولادة من الله ليست مجرد لقب زائف نفتخر به . وانما لها علامات تميزها . يقول الرسول « لأن كل من ولد من الله يقلب العالم » (١ يو ٥ : ٤) . ويقول أيضاً « وكل من يحب ، فقد ولد من الله ويمرف الله » (١ يو ٤ : ٧) . فهل ينطبق عليك هذان الشرطان ؟ وهل أنت ثابت في المحبة ؟ وهل أنت تقلب العالم ؟

علامة جوهرية أخرى للولادة من الله ، تظهر في قول بولس الرسول الى أهل رومية « لأنه ان عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن ان كنتم بالروح تميئتون أعمال الجسد فستحيون . لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فاولئك هم أبناء الله » (رو ٨ : ١٣، ١٤) . هنا شرط للبتوة لله ، يحددها الرسول في الذين ينقادون بروح الله . من هو ابن الله ؟ هو الذى ينقاد بروح الله . فهل ينطبق عليك هذا الشرط أيها الوارث مع المسيح والضامن للملكوت ؟ اسأل نفسك ...

شرط أساسى آخر للولادة من الله ، ان تكون مولوداً من فوق ، مولوداً من الماء والروح . لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال لنيقوديموس « الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . فهل أنت أيضاً قد خلصت « بفصل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) ؟ وهل قدسك السيد المسيح مطهراً اياك بفصل الماء بالكلمة ؟ (اف ٥ : ٢٦) .

لا تقل بغير تمعن (أنا ابن لله، فوارث للمسيح، فضا من للملكوت) وانما اختبر نفسك هل أنت قد ولدت من الماء والروح ؟ هل أنت

تحفظ نفسك والشرير لا يمسك ؟ هل أنت تغلب العالم ؟ هل أنت محب وصانع للبر ؟ هل أنت لا تستطيع أن تخطيء ؟ هل أنت تنقاد بروح الله ؟ ان كنت كذلك فانت ابن حقا لله ، وأعمالك تدل عليك « ومن ثمارهم تعرفونهم » .

أما قول بولس « لست عبداً بل ابناً » فيجب أن نضع الى جواره قول السيد المسيح « ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ، والعبد لا يبقى في البيت الى الأبد . أما الابن فيبقى الى الأبد . فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٤ - ٣٦) .

فالبنوة لله اذن من علاماتها التحرر من الخطيئة وعدم العبودية لها . فان كنت ما تزال تفعل الخطيئة فانت عبد لها وانت اذن خارج عن قول بولس الرسول « لست عبداً بل ابناً » .

ان السيد المسيح يحسم هذا الأمر فيقول « ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) . « لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (مت ١٢ : ٥٠) هذا هو حقاً الوريث مع المسيح .

● نفس الكلام الذى قلناه سابقاً ينطبق أيضاً على آية بنفس المعنى يستخدمها المعارضون أحياناً وهى :

« فان كنا أولاداً ، فاننا ورثة أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح ان كنا نتألم معه ، لكى نتجد أيضاً معه » (رو ٨ : ١٧) .

الاعتراض الخامس

+ (يو ٦ : ٣٧) .

من يقبل إلى ، لا أخرجهُ خارجاً

حقاً ان كل من يقبل الى المسيح لا يخرجهُ المسيح خارجاً . ولكن ماذا نقول عن الذى يخرج بارادته من تلقاء نفسه ؟ ان المسيح هو الباب ان دخل أحد به يخلص ويجد مرعى (يو ١٠ : ٩) .

ان كل الذين خرجوا من المظلمة المقدسة ، هم خرجوا بذواتهم ، بأعمالهم ، بطيائستهم ، بضلالهم • هم أرادوا لأنفسهم الهلاك • عن أمثال هؤلاء يقول يوحنا الرسوك • منا خرجوا • لكنهم لم يكونوا منا • لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا » (١ يو ٢ : ١٩) • هم الذين خرجوا •

ومن أمثلة هؤلاء أولئك الذين لم يحتملوا كلام السيد المسيح عندما تحدث عن تناول من جسده ودمه • وفي ذلك يقول الكتاب « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يعيشون معه • فقال يسوع للاثني عشر الملكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا » (١ يو ٦ : ٦٦ ، ٦٧) • هؤلاء لم يخرجهم الرب خارجاً ، إنما هم الذين تركوه ، بعكس الاثني عشر الذين ثبتوا معه •

حتى يهوذا الاسخريوطي أيضاً ، لم يطرده الرب ، ولم يخرج به خارجاً • وإنما هو الذي ترك مجمع التلاميذ ، وترك عشاء الرب وخرج يفعل ما قد تأمر عليه من قبل •

الاعتراض السادس

+ (١ يو ٥ : ١١ ، ١٢) •

من له الابن ، فله الحياة

يعترض البعض بقول يوحنا الرسول • وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه ، من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة • فيقولون ما دام شخص له الحياة ، وله حياة أبدية فكيف يهلك اذن ؟ ! •

مفتاح هذه الآية هو فهم المعنى المقصود من عبارة من له الابن • فماذا تعنى هذه العبارة ؟ هل تعنى « كل من يؤمن به » ؟ كلا طبعاً ، لأن الابن نفسه يقول • ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات • (مت ٧ : ٢١) • وتابع الرب كلامه قائلاً • كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنتنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم •

هؤلاء لم يكونوا مؤمنين فقط وانما كانوا صانعي آيات أيضا •
ومع ذلك لم يكن لهم الابن « لم يعرفهم قط » • وذلك لأنهم كانوا
فاعلي اثم •

وهكذا المذارى الجاهلات: كن مؤمنات، وقد نادينه قائلات « يا سيد
يا سيد افتح لنا » (مت ٢٥ : ١١) • فأجابهن قائلا « الحق أقول لكن
انى ما أعرفكن » •

هن أيضا لم يكن لهن الابن ، على الرغم من ايمانهن • وعلى الرغم
من انهن كن ينتظرنه كالحكيما ، وقد حفظن بتوليتهن ، وأردن أن
يدخلن معه الى العرس •

اذن فعبارة من له الابن، لا تعنى مجرد الايمان • فماذا تعنى اذن؟
ما معنى « من له الابن فله الحياة » ؟ تعنى الآتى :

اولا - معرفة الابن :

وهذا واضح من قول ربنا يسوع المسيح نفسه للآب : « هذه هى
الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح
الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) •

ولكن ما معنى أن نعرف الابن ؟ وما الدليل على أننا عرفناه ؟ •

يجيب يوحنا الرسول نفسه ، في نفس رسالته قائلا : « بهذا نعرف
أننا عرفناه ، ان حفظنا وصاياه • من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ
وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه • وأما من حفظ كلمته ، فحقا في
هذا قد تكملت محبة الله • بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٣-٥) •

هذا هو الرد، لأنه كيف يكون لنا الابن ان كنا لا نعرفه ؟! أو كيف
نعرفه ان كنا لا نحفظ وصاياه ؟! فان حفظنا وصاياه ندلل بهذا على
أننا نعرفه وان عرفناه تكون لنا الحياة • اذن من يحفظ وصايا الابن،
يكون له الابن ، وتكون له الحياة • وما حفظ الوصايا سوى أعمال ،
تبرهن على صدق هذا الحفظ •

ثانيا - الثبات في الابن :

ان الذى له الابن ، هو الذى يثبت في الابن ، والابن نفسه قد قال
« اثبتوا في وأنا فيكم ••• أنا الكرمة وأنتم الأغصان ••• ان كان

أحد لا يثبت في ، يطرح خارجاً كالنفس ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه
في النار فيحترق » (يو ١٥ : ٤-٦) .

اذن فالثبات فيه لازم للحياة ، كما أن النفس لا يعيا الا اذا كان
ثابتاً في الكرمة ، والذي لا يثبت فيها يجف وتكون نهايته الحريق .
اذن من يثبت في الابن فله الحياة .

فكيف اذن ثبت فيه ؟

يتابع الابن كلامه فيقول « اثبتوا في محبتى . ان حفظتم وصاياى
تثبتون في محبتى ، كما انى انا حفظت وصايا ابنى واثبت في محبته »
(يو ١٥ : ٩، ١٠) .

الأمر اذن من هذه الناحية أيضاً يتعلق بحفظ الوصايا ،
اى بالأعمال الصالحة . يؤكد هذا يوحنا الحبيب أيضاً في نفس رسالته
« من قال انه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك ، هكذا يسلك هو
أيضاً » (١ يو ٢ : ٦) .

وماذا تعنى عبارة من له الابن ؟ تعنى كذلك :

ثالثاً - الشركة مع الابن :

الذى له الابن ، هو الذى له شركة معه . وفي ذلك يقول يوحنا
الرسول نفسه « وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح »
(١ يو ١ : ٢) . ويتحدث بولس الرسول كثيراً عن هذه الشركة فيقول
« متنا معه ، دفنا معه ، قمنا معه ، نتمجد معه » (رو ٦) ، ويقول
أيضاً « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (في ٣) . ويقول « مع
المسيح صلبت » (غل ٢) الخ .

ولكن كيف تكون لنا شركة معه ؟ هنا يجيب القديس يوحنا في نفس
رسالته « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل
الحق ، ولكن ان سلكنا في النور كما هو في النور ، فلنا شركة بعضنا
مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة » (١ يو
١ : ٦، ٧) .

الأمر اذن كسابقه يتعلق بالسلوك اى بالأعمال .

رابعاً - محبة الابن :

لا شك أن الذي له الابن ، هو الذي يرتبط بالابن برابطة الحب .
فكيف نحبه اذن ؟

يجيب السيد المسيح نفسه على هذا السؤال بقوله « الذي عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يو ١٤ : ٢١) . والقديس يوحنا يؤكد هذا أيضاً في نفس رسالته فيقول « فان هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياها » (١ يو ٥ : ٣) .

الأمر من هذه الناحية أيضاً يتعلق بحفظ الوصايا أى بالأعمال .

اذن فعبارة من له الابن - سواء كان معناها : من يعرف الابن ، أو من يثبت في الابن ، أو من له شركة مع الابن ، أو من يحب الابن - فهي تستلزم حفظ الوصايا ، لكي تكون للمؤمن الحياة الأبدية .

اذن فالحياة الأبدية تستلزم سلوكاً دائماً بالبر . ان حاد عنه الانسان يفقد هذه الحياة . لأنه « ان قلنا أن لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة ، نضل أنفسنا »

ان رسالة يوحنا الأولى لها روح خاصة تتمشى في الرسالة كلها . لذلك اذا حاول البروتستانت أن يعتمدوا على آية منها ، وجدوا في باقى الرسالة ما يرد عليهم

الاعتراض السابع

+ (خر ١٢ : ٢٣ ، ٧) .

مثال خروف الفصح

« فعين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر الـرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » .

يستغل المعترضون هذه الآية ويقولون ان الذين كانوا يحتمون داخل الأبواب المطلخة بالدم ، كانوا يشعرون بكامل الأمان والاطمئنان مهما كانت حالتهم الشخصية ، ومهما كان تقصيرهم واثمهم

لأن خلاصهم كان يعتمد على الدم ، دم خروف الفصح الذى يرمز للمسيح . ولم يكن خلاصهم يعتمد اطلاقاً على أعمالهم . ويقولون انه يجب أن نكون في ملء الثقة بدم المسيح ، ناظرين الى استحقاقات الدم ، وليس الى أعمالنا .

ونحن لا ننكر أن الخلاص قد تم بدم المسيح وحده ، وإن كفارة دم المسيح غير المحدودة كافية لبعث الاطمئنان في النفس . ولكن ثقتنا بدم المسيح ، ليس معناها أن نحيا في الخطيئة ، أو أن نقصر في أى عمل صالح ، مدعين بأن خلاصنا يتوقف على الدم وليس على برنا وطهارتنا .

وفي مثال خروف الفصح والأبواب المرشوشة بالدم نرى ملاحظة هامة جداً توضح الموقف توضيحاً سليماً من ناحية الرمز . ذلك أن خروف الفصح كان يؤكل على فطير (خر ١٢ : ٨) . وكان لا بد من نزع كل خميرة في المحلة لمدة سبعة أيام .

وهكذا قال الكتاب « سبعة أيام تأكل فطيراً ، وفي اليوم السابع عيد للرب ، فطير يؤكل السبعة أيام ، ولا يرى عندك مختمر ، ولا يرى عندك خميرة في جميع تخومك » (خر ١٣ : ٦ ، ٧) .

وقد شدد الرب تشديداً كبيراً على عزل الخمير من البيوت ، مع توقيع عقوبة القطع على كل من يأكل مختمراً . فقال « سبعة أيام تأكلون فطيراً . اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم . فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول الى اليوم السابع ، تقطع تلك النفس من اسرائيل » (خر ١٢ : ١٥) .

وعاد فشدد على هذه النقطة مرة أخرى فقال « تأكلون فطيراً . . . سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم . فإن كل من أكل مختمراً ، تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل ، الغريب مع مولود الأرض . لا تأكلوا شيئاً مختمراً في جميع مساكنكم تأكلون فطيراً » (خر ١٢ : ١٨ - ٢٠) .

فما هي الحكمة في كل هذا ؟ وإلى أى شيء ترمز ؟ ان أى باحث في الكتاب المقدس يرى جيداً أن الخمير يرمز الى الشر والخطيئة ، وأن الفطير يرمز الى البر والطهارة .

وقد أوضح بولس الرسول هذا الأمر وضوحاً كاملاً حينما قال « اذن نقروا منكم الخميرة العتيقة ، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم

فطير . لأن فصحننا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا . اذن لنميد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الاخلاص والحق » (اكو ٥ : ٧ ، ٨) .

وهكذا تتضح أمامنا الصورة : الباب من الخارج مرشوش بالدم ، ومن الداخل قد نزع الخمير ، والكل يأكل فطيراً . ان دم المسيح لا يمكن أن يكون تصريحاً لنا بأكل الخمير والشخص الذى يفلت بواسطة الدم من سيف المهلك ، يمكن مع هذا الخلاص الأول أن تقطع نفسه من الجماعة اذا أكل خميراً . وهكذا يفقد خلاص الدم من طريق أكله من الخبز المختمر .

كم من أناس خلصوا من الخطيئة الأصلية بدم المسيح ، ونجوا من سيف المهلك . ثم بعد ذلك فقدوا هذا الخلاص ، وقطعوا من جسم الكنيسة ، لأنهم أكلوا مختمراً ، أولئك « الذين نهايتهم الهلاك ، الذين ألهمهم في بطنهم ، ومجدهم في خزيمهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٩) .

هل بعد هذا تجرؤ أن تقول اننى أنا مطمئن داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، مهما كانت سيرتى ؟! أقول لك : كلا ، ان كان يوجد خمير داخل أبوابك ، فلا يمكن أن تنام مطمئناً « ان كل من يأكل مختمراً ، تقطع تلك النفس من شعبها » .

لذلك نقوا منكم الخميرة العتيقة . وعيدوا بفطير الاخلاص والحق . ان سبعة أيام الفطير ترمز الى العمر كله الذى يتبني أن يكون طاهراً . لأن السبعة عدد يرمز الى الكمال . وطالما تعيش أيها الأخ داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، احترس طول حياتك أن تعزل الخمير من بيتك ، لأن الحكم واضح .

الاعتراض السامع

المسيح سدد مطالب الله

يقول المعترضون ان موت المسيح قد سدد مطالب العدل الالهى من كل جهة . فهل يطالبنا الله بتسديده مرة أخرى ؟ .

كلا، ان الله لا يطالبنا بذلك، كما أننا عاجز من أن نوفي عدل الله . . .

وقد سدد السيد المسيح فعلا كل مطالب العدل الالهى ، وقدم كفارة غير محدودة لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس في جميع الأجيال ... ولكننا نكرر هنا ما سبق أن قلناه ان دم المسيح شيء ، واستحقاقات دم المسيح شيء آخر . ان كل ما تفعله ، ليس هو أن نسدد مطالب العدل الالهى ، وانما ان نوجد أهلا لاستحقاقات دم المسيح .

اتنا لا نحاول أن نوفي العدل الالهى حقه ، فقد تم ذلك على الصليب ، حين سفك الرب دمه عنا ، اتنا كل ما نعمله هو أن نكون مستحقين لدم المسيح .

الاعتراض الخامس

من يسمع كلامى . . له حياة أبدية :

يعترضون أيضاً يقول الرب « من يسمع كلامى ويؤمن بأذى أرسلنى ، فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) .

نلاحظ هنا أنه لا يتكلم عن الايمان فقط ، بل عن الأعمال بالأكثر في قوله « يسمع كلامى » أى من ينفذ وصاياى . ونحن نعتقد أن المؤمن الذى ينفذ وصايا الله حتى النهاية ، فهذا هو الذى يخلص .

ولو أننا تابعنا بقية كلام الرب في هذه المناسبة ، لوجدناه يقول « فيقوم الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة » (يو ٥ : ٢٩) ، ولم يقل « الذين آمنوا » ، مشدداً على أهمية الأعمال للخلاص .

الاعتراض السادس

+ عب ١٠ : ٢٣ .

الذى وعد هو أمين :

حقاً ان وعد الله موجود ، والذى وعد هو أمين ولكن هذا لا يدعونا الى الثقة العمياء . بل ان القديس بولس ذاته يحذرنا في نفس الرسالة قائلا « فلنخف انه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) ، كما يقول أيضاً « ان كنا نذكره ، فهو أيضاً سينكرنا » (٢ : ٢) .

يا اخوتى ، تذكروا باستمرار خطورة استخدام الآية الواحدة .

متى نصل الى الخلاص ؟

ان كان المؤمن يمكن أن يستقط ، ويمكن أن يهلك ، وان كان هناك أناس قد بدأوا بالروح وكمّلوا بالجسد ، فمتى نقول اذن عن الانسان انه قد خلص تماماً ؟

نقول ذلك عندما يكمل أيام غربته على الأرض بسلام . ذلك لأننا في حرب وصراع ، طالما نحن في الجسد » (أف ٦ : ١٠) . نحن في حرب لم نعرف نتيجتها بعد ، لأنه من الجائز أن يكسب انسان الجولة الأولى ، ويخسر في الجولة الثانية عشرة . من يضمن ؟ ولا يستطيع محارب أن يقول انه انتصر ، الا بعد نهاية الحرب ، أي بعد خلع هذا الجسد .

لذلك يقول الرسول » تمموا خلاصكم بخوف ورعدة « (في ٢ : ١٢) . ويقول أيضاً » انظروا الى نهاية سيرتهم « (عب ١٣ : ٧) .

نصوص مقدسة عن خلاصنا المنتظر :

● يقول القديس بولس » فان سیرتنا نحن هي في السموات ، التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع ، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده « (في ٣ : ٢٠) .

هذا هو الخلاص ، عندما نخلع هذا الجسد المائت ، ونلبس جسد المجد . . . بعد مجيء المسيح الثاني والقيامة العامة .

● ويقول كذلك » هكذا المسيح أيضاً بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه « (عب ٩ : ٢٨) . تحدث الرسول هنا أيضاً عن الخلاص النهائي الذي يحدث بعد مجيء المسيح الثاني .

● وهكذا يقول القديس بطرس الرسول » انتم الذين بقوة الله محرسون بايمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير « (١ بط ١ : ٥) .

● هذه الحقيقة ذاتها ، وضحتها مار بولس عندما أمر بخصوص خاطيء كورنثوس » أن يسلم مثل هذا الشيطان لهلاك الجسد ، لكي تخلص الروح في يوم الرب « (١ كو ٥ : ٥) .

● عن هذا الخلاص المقبل يقول الرسول لأهل رومية (١١ : ١٣)
« فان خلاصنا الآن اقرب مما كان حين آمنا » .

● ويقول لتلميذه القديس تيموثيئوس الأسقف « لاحظ نفسك وداوم على ذلك - لأنك اذا فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١ تي ٤ : ١٦) - فهذا القديس كان محتاجاً أن يلاحظ نفسه، ويلاحظ خدمته ، ويداوم على هذه الملاحظة ، لكي يخلص .

● وعن هذا الخلاص المنتظر يقول القديس بطرس الرسول
« ان كان البار بالجهد يخلص ... » (١ بط ٤ : ١٨) .

● ويقول بولس الرسول عن الملائكة « أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة ، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) .

● هذا الخلاص الأخير يحتاج الى صبر وجهاد حتى نناله في المجد . وفي هذا يقول القديس بولس « لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء ، لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي » (٢ تي ٢ : ١٠) .

اذن فهؤلاء المختارين لم ينالوا الخلاص الذي فيه المجد الأبدي ، على الرغم من أنهم نالوا خلاصاً بدم المسيح في المعمودية . ولكنه مجرد عربون (أف ١ : ١٤) . يمكن أن تفقده ان أبطلنا جهادنا وانعرفت ارادتنا ...

هذا الخلاص الأخير ، كيف نناله ؟ يجيب الرسول قائلاً « فلنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) . ومن يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص .

★ ★ ★

الفصل السادس

اجابة أسئلة

متعلق بالموضوع

- ١ -

هل اختار الله أناساً معينين للخلاص ؟

أ - الخلاص مقدم للجميع :

يجيب الكتاب اجابة واضحة عن هذا السؤال فيقول « لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله ، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون » (١ تي ٢ : ٤) . ان الله يريد أن جميع الناس يخلصون وليست مجموعة معينة منهم . محبة الله قد شملت العالم كله . ولذلك فهو يقول « انى لا أسر بموت الشرير ، بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويعيا » (حز ٣٣ : ١١) .

لهذا فانه في قضية القداء يقول الكتاب « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . هنا نرى أن محبته عامة للجميع ، للعالم كله . والخلاص مقدم بصفة عمومية لكل من يؤمن به فادياً وليس لمجموعة معينة .

وهذا المعنى يكرره أيضاً معلمنا يوحنا الحبيب في الحديث عن ذبيحة المسيح الكفارية ، اذ يقول « وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢) . اذن فالسيد المسيح قد قدم الخلاص للجميع ، بذل نفسه عن الجميع . هو كفارة لخطايا العالم كله ، يريد أن الجميع يخلصون .

هذه العمومية شرحها معلمنا بطرس الرسول فقال « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الرجوه . بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبولاً

عنده ... هذا هو رب الكل » (أع ١٠ : ٣٤ - ٣٦) • ويشبه هذا أيضاً ما قاله بطرس في يوم الخمسين « ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » •

اذن فانه يريد أن جميع الناس يخلصون • فان لم يخلصوا جميعاً ، فلا يمكن أن يرجع السبب الى الله ، وانما الى الناس ، لأنهم هم لم يريدوا لأنفسهم الخلاص وليس أن الله لم يرد لهم الخلاص •

ب - وضع الله الاختيار في أيدي الناس :

ان الله كصالح ومحب لا يشاء أن يهلك خاطيء واحد ، بل يريد لكل خاطيء أن يرجع ويحيا • ومع ذلك فقد وضع الاختيار في أيدي الناس ، ترك الحرية لكل انسان لكي يختار لنفسه • وفي ذلك يقول السيد الرب للانسان :

« انظر • قد جعلت اليوم امامك الحياة والخير ، والموت والشر ...
اشهد عليكم اليوم السماء والأرض • قد جعلت قدامك الحياة والموت ،
البركة واللعنة • فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك » (تث ١٥ : ١٩) •

ولو لم يكن الاختيار في يد الانسان ، فلماذا اذن أرسل الله الرسل والأنبياء ؟ ولماذا اذن وضع لنا الوصايا وقدم الانذارات ؟ لماذا عين الكهنة والمعلمين ؟ ما فائدة هذا كله لو كان هنا اناس معينين للخلاص ، وآخرون معينين للهلاك ؟ !

ج - نصوص كثيرة تدل على ان الارادة بيد الانسان :

كثير من وصايا الله المقدسة تبدأ بعبارة « ان أراد أحد » أو « ان أردت » أو « ان سمع أحد لصوتي » ... وأشياء هذه من العبارات ، مما يدل على ان الارادة في يد الانسان ، يختار لنفسه ما يشاء ويحدد مصيره حسب عمله • وسنضرب أمثلة لكل هذا :

قال ربنا يسوع المسيح « ان أراد أحد أن يأتي ورائي ، فليترك نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني • فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (مت ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) •

وقال للشاب الفنى « ان أردت أن تدخل الحياة فأحفظ الوصايا ...
ان أردت أن تكون كاملاً ، فاذهب وبع أملكك وأعط الفقراء »
(مت ١٩ : ١٧ ، ٢١) •

وقال في رسالته الى ملاك كنيسة لاودكيا « ها أنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع أحد صوتي وفتح الباب . أدخل اليه وأتمشى معه وهو ممي » (رؤ ٣ : ٢٠) . من جهة الله فانه واقف يقرع على الباب ، ومن جهة الانسان فهو الذي يملك الاختيار : يفتح أو لا يفتح . ونتيجة لهذا يتحدد مصيره .

وكثيراً ما يريد الله ، ولا يريد الانسان ، يريد الله الخير للانسان، ولا يريد الانسان الخير لنفسه . ويتركه الله لحرية ارادته ، يلقي مصيره حسبما يشاء .

مثال ذلك قول الرب في بكائه على اورشليم «كم مرة أردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧، ٣٨) . ومثال ذلك أيضاً توبيخ الرب لليهود اذ قال لهم « ولا تريدون أن تاتوا الى لتكون لكم حياة » (يو ٥ : ٤٠) .

ويدخل في هذا النطاق أيضاً مثال العرس والمدعوين ، اذ يقول الرب عن صاحب العرس « وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين الى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا » (مت ٢٢ : ٣) . انهم مدعوين الى العرس ، وليسوا معدين للهلاك . الله يفتح لهم ملكوته ، ولكنهم يرفضون أن يدخلوا . وفي مثال العرس هذا نجد أن الدعوة تكررت أكثر من مرة ومن مرتين . وفي كل مرة يرسل الرب الى هؤلاء المدعوين عبيداً آخرين ، ولكنهم لم يريدوا أن يأتوا . لذلك ختمت هذه المأساة بقول الرب لعبيده «أما العريس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين» (مت ٢٢ : ٨) .

من أعمق الأمثلة على مدى اهتمام الله بارادة الانسان في تقرير مصيره . أن السيد المسيح له المجد يقول للمريض قبل شفائه « أتريد أن تبرأ ؟ » (يو ٥ : ٦) . ان الطبيب العظيم مستعد أن يشفى ، ولكن مشكلة الذين يهلكون هي أنهم لا يريدون أن يبرأوا .

د - الله مستعد أن يرجع عن حكمه :

هل يوجد أوضح من هذا دليلاً على عمق رغبة الله في الاهتمام بخلاصنا ؟ لا مانع لدى الله في أن يرجع عن حكمه ان رجع الانسان عن شره وطلب لنفسه الخلاص .

« وإذا قلت للشرير موتاً تموت • فإن رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق ••• وسلك في فرائض الحياة بلا عمل اثم ، فإنه حياة يعيا • لا يموت • كل خطيئته التي أخطأ بها لا تذكر عليه • عمل بالعدل والحق ، فحياة يعيا » (حز ٣٣ : ١٤ - ١٦) •

وهذا المعنى ذاته ذكره الله أيضاً في سفر أرميا النبي ، اذ قال « تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك ، فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها • وتارة أخرى أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والفرس • فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي ، فأندم على الخير الذي قلت اني أحسن اليها به » (أر ١٨ : ٧ - ١٠) •

ولنا مثل عملي واضح في قصة نينوى : لقد أصدر الله عليها حكماً • ولكن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان • وهكذا يقول الكتاب « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣ : ١٠) •

اذن الأمر يتوقف على الانسان • ولذلك فإن معلمنا يعقوب الرسول يقول « اقتربوا الى الله فيقترب اليكم » (يع ٤ : ٨) • والله نفسه يقول في سفر ملاخي النبي « ارجعوا الى أرجع اليكم » (ملا ٣ : ٧) •

هـ - الرد على بعض الاعتراضات :

تبدأ أولاً بقول بولس الرسول في الرسالة الى رومية « ونحن نعلم ان كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده • لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فممينهم ، ليكونوا مشابهيين صورة ابنه ••• » (رو ٨ : ٢٨ - ٣٠) • ونلاحظ في هذا النص ملاحظات هامة وأساسية :

نلاحظ انه قال « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » ولم يقل « للذين يحبهم » فالأمر متوقف عليهم لا عليه • وهذا ينطبق أيضاً على قول بولس الرسول « بل كما هو مكتوب ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على بال انسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كو ٢ : ٩) ولم يقل أيضاً « للذين يحبهم » • لأن الأمر يتعلق في خلاصهم على ارادتهم هم •

ملاحظة ثانية، وهي أن تعيين الله ليس مرجعه الى اختيار الله وانما الى سبق معرفته . كما قال « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم » .
فالله يسبق معرفته ، وبإدراكه لما سوف يحدث في مستقبل الزمان ، عرف من هم الذين سوف يسلكون حسب مرضاته بالبر والاستقامة يكامل اختيارهم . هؤلاء الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم .

هذا الكلام ينطبق أيضاً على قصة يعقوب وعيسو . كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو . (رو ٩ : ١٣) . فالله بسبق معرفته كان يعرف أن عيسو سيكون انساناً مستبيحاً، قاتلاً، يستهين بالبكورية ويبيعها بأكلة عدس . وكان يعرف أيضاً وداعة يعقوب وحبه للخير .

فأحب الله في يعقوب ما رآه فيه بسبق المعرفة ، وأبغض في عيسو ما رأى أنه سيعتد منه بسبق المعرفة أيضاً . ولكننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول ان الله عين عيسو للهلاك ، وعين يعقوب للخلاص ، بمعنى أنه كتب على عيسو الهلاك مهما كان اختياره!! واختار يعقوب للخلاص مهما كانت أعماله !! حاشا لله أن يفعل هذا .

يأتى بعد ذلك قول الكتاب « أعمل الجيلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا . أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة اناءاً للكرامة وآخر للهوان » (رو ٩ : ٢٠، ٢١) . نعم أن للفخارى سلطاناً على الطين أن يصنع منه ما يشاء اناءاً للكرامة أو للهوان . وليس للطينة أن تقول له « لماذا صنعتني هكذا » . ولكن الفخارى أيضاً حكيم وعادل .

ومن التفسيرات الجميلة التي سمعتها عن هذا الموضوع ان الفخارى - مع كامل حريته وسلطانه - ينظر بحكمة الى قطعة الطين ويفحصها . فان رآها جيدة وناعمة ولينة وتصلح أن تكون اناءاً للكرامة ، فانه لا بد سيجعلها اناءاً للكرامة . من غير المعقول أن تقع طينة رائعة في يد فخارى ، فيصنع منها اناءاً للهوان . لأنه فخارى حكيم . أما اذا كانت الطينة خشنة وردئة ، ولا تصلح اناءاً للكرامة ، فان الفخارى مضطر - بما يناسب حالتها - أن يصنع منها اناءاً للهوان .

فالامر اذن وقيل كل شيء، يتوقف على حالة الطينة ومدى صلاحيتها . مع اعترافنا بسلطان الفخارى وحريته .

ان الفخارى ، على قدر امكانه ، يحاول أن يصنع من الطين الذي امامه آنية للكرامة ، على قدر ما يساعده الطين على ذلك . ولذلك قال الرب « هوذا كالطين بيد الفخارى ، أنتم هكذا بيدي يا بيت اسرائيل . تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك . فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها . وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي ، فأندم على الخير الذي قلت انى أحسن اليها به » (أر ١٨ : ٦ - ١٠) .

يذكرنا هذا بمثل الزارع الذي خرج ليزرع (مت ١٣ : ٣-٨) : الزارع هو نفس الزارع، والبذار هي نفس البذار . ولكن حسب طبيعة الأرض التي سقطت عليها البذار، هكذا كانت نتيجتها في التلف أو الاثمار . ان الزارع لم يعد بذاراً للجفاف أو الاحتراق أو لتختنق بالشوك أو ليأكلها الطير . ولكن طبيعة الأرض هي التي تحكمت في الأمر .

الانسان حر اذن في اختيار مصيره . « لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غلا ٦ : ٨) .

و - بحث الأمر من الناحية اللاهوتية :

ان مبدأ الاختيار هذا فيه ظلم وفيه محاباة ولا يتفق مع عدل الله الذي « يجازي الانسان حسب عمله » (٢ كو ٥ : ١٠) . فاذا كان الله يرحم من يرحم ، ويتRAF على من يتRAF ، ويترك الباقين للهلاك ، فكيف يتفق هذا مع عدل الله ؟!

والذين عينهم الله للهلاك ، ما ذنبهم ؟! ألا يؤدي هذا الى أن يقع الخطاة في اليأس ، شاعرين بأنه لا فائدة من جهادهم ، ما داموا أواني قد أعدت للهوان . أما الأبرار فان هذا ولا شك يدفعهم الى التراخي والتهاون ، شاعرين أنهم مخلصون مخلصون ، جاهدوا أو لم يجاهدوا .!!!

ثم ما معنى الثواب اذا كان هناك أشخاص مكتوب عليهم الهلاك قبل أن يولدوا، وآخرون مكتوب لهم الخلاص قبل أن يولدوا ؟! فالمختارون اذن ما فضلهم حتى يثابوا ؟ والأشرار ما ذنبهم حتى يعاقبوا ؟!

وما لزوم الوصية اذن ، ان كان مصير الانسان محتملاً اطاع الوصية
أو لم يطعها! ثم ألا يتعارض مبدأ الاختيار هذا مع ارادة الانسان الحرة؟

وما جدوى الشيطان أيضاً في اختيار ارادة الانسان؟ ما جدوى
تعبه في اغراء المختارين وهم خالصون لا محالة مهما كانت اغراءته؟
وما جدوى تعبهم في اسقاط غير المختارين، وهم هالكون حتى ان لم يحاربهم؟

وما لزوم الكرازة والتبشير والرعاية والتعليم ، ان كان ذلك سوف
لا يغير شيئاً مما كتب على الانسان من اختيار أو رذل؟

ان فكرة الاختيار هذه توقع العالم في بلبلة ، وتتنافى مع عدل الله ،
كما تتعارض أيضاً مع ارادة الانسان الحرة .

- ٢ -

ماذا كان جهاد اللص حتى خلص؟

ان الذين يدعون أن الخلاص هو بالايمان وحده ، يتساءلون : أية
أعمال صالحة قد عملها اللص اليمين ، وأى جهاد جاهده حتى خلص؟
ونحن نجيب بأن اللص عمل أشياء كثيرة ، أهمها :

١ - آمن اللص بالرب في ظروف قاسية جداً :

مجرد ايمان اللص لم يكن أمراً سهلاً . لو أنه آمن بالرب ، وهو
يقيم الموتى ، ويشفي المرضى، ويمشي على الماء ، وينتهر الريح، ويعمل
المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك أمور واضحة لا تقبل الشك . ولكنه
آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به وهو مهان ومحتقر من الناس، وأمام
الكل في حالة ضعف ! يلطمونه ، ويبصقون على وجهه ، ويستهزئون به،
ويقولون له « تنبأ من لطمك » ! .

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان . ولو أن
هذا اللص لم يؤمن لالتمس له الناس الأعذار . فكيف يمكن أن يؤمن
برجل مصلوب مهان أنه اله ؟! لا بد أن اللص كان محتاجاً الى جهاد كبير

مع نفسه من الداخل الى هذا الايمان ، مقاتلا الشكوك الكثيرة التي تقف أمامه وتكاد تلقى ايمانه . . .

كل من يقول ان اللص لم يجاهد، يبدو أنه لم يتخيل ويتصور الموقف الذي أحاط باللص . . . ذلك الموقف الذي أعثر فيه غالبية الناس ، حتى التلاميذ الذين قال لهم الرب « كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب أضرب الراعى فتتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) . وفعلًا تبددت الرعية كلها! ولم يستطع أن يقف الى جوار الصليب الا المريمات ويوحنا الحبيب فقط . . . وهذا اللص !

انشق حجاب الهيكل ، واظلمت الشمس ، وتشققت الصخور . . . فهل كان هذا كافياً للايمان؟ اننا نعرف جيداً أنه على الرغم من كل ذلك، لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والكتبة والفريسيون . كما لم يؤمن اللص الآخر أيضاً . . . ان ايمان اللص اليمين لم يكن أمراً هيناً .

ب - اعترف بالرب اعترافاً كاملاً :

ان عبارة « اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » (لو ٢٣ : ٤٢) . تحمل معاني كثيرة : فهو قد اعترف بالمسيح المصلوب رباً ، واعترف به أيضاً ملكاً . اعترف بأن للمسيح ملكوتاً ، وانه أت الى ملكوته ، أى أن ليس للموت سلطان عليه . وأمن أيضاً بأن المسيح يمكنه أن يدخله الملكوت ، أى آمن بأن خلاصه سيكون على يد هذا المصلوب معه .

وكان لهذا اللص رجاء كبير . فعلى الرغم من كل ما فعله في حياته من شرور بشعة ، آمن أنه يمكن لمثله أن يخلص وأن يدخل الملكوت ، عن طريق المسيح .

ولم يكتف هذا اللص بايمانه ، وانما اعترف بهذا الايمان علانية، أمام الجميع ، بلا خجل . . . الأمر الذي لم يقدر عليه بطرس الرسول وغالبية الرسل والتلاميذ .

ان اللص لم يعترف قط بايمانه بالمسيح ، وانما :

ج - اعترف أيضاً بخطاياك :

لم يكتف اللص بالاعتراف بالإيمان ، وإنما ملكته الفيرة المقدسة حينما سمع زميله يجدف على المسيح قائلاً « ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وايانا » فأجابه اللص اليمين منتهراً « أو لا تخاف أنت الله ، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه . أما نحن فبعدل (جوزينا) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله » (لو ٢٣ : ٣٩ - ٤١) .

وهكذا اعترف اللص بخطاياك ، واعترف باستحقاقه للعقاب . اعترف أنه إذ يموت مصلوباً ، إنما ينال استحقاق ما فعل . فكأنه لم يستعظم الحكم ، وإنما قال « نحن بعدل جوزينا » .

وكان هذا اللص روحياً في مسلكه : فبينما كان اللص الآخر يفكر في وسيلة للنجاة من الموت والصلب ، قائلاً للمسيح « خلس نفسك وايانا » ، كان هذا اللص المؤمن يفكر في الملكوت ، ويتوسل الى السيد من أجل خلاصه الأبدي ، لا من أجل أن ينقذه من موت الجسد . من جهة موت الجسد فقد رضى اللص اليمين به عقاباً على خطاياك . لكنه وجد هذه اللحظات لازمة له للتفكير في أبعده . وانشغل ذهنه بالرب وملكوته ، لذلك نراه أيضاً يدافع عن الرب .

د - دافع عن الرب :

وقف المسيح وحيداً لم يدافع عنه أحد ممن تنعموا بنعمه ومعجزاته . لم يدافع عنه أحد من رسله ولا من السائرين وراءه . وباستثناء أسماء قليلة ، ارتفع صوت هذا اللص ، يخجل الآلاف من ناكري الجميل قائلاً « وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله » .

دفاع عجيب من شخص يستقبل الموت ، دل به على أن البشرية ما تزال فيها بقية من خير . لذلك استحق أن يقول له الرب « اليوم تكون معي في الفردوس » .

أيسأل الناس اذن ويقولون : ماذا كان جهاد اللص وما الذي فعله؟ اننى أسألهم جميعاً سؤالاً آخر يسرنى أن أسمع الاجابة عليه ، وهو : ماذا كان بإمكان هذا اللص أن يفعل أكثر من هذا ولم يفعله؟! .

كيف خلصوا بدون عماد ؟

هناك بعض قديسين نالوا اكليل الشهادة قبل أن ينالوا نعمة العماد كان يكونوا قد استشهدوا وهم في صفوف الموعوظين ، بعد ايمانهم . . . أو انهم شهدوا عذابات بعض الشهداء وشجاعتهم في لقاء الموت وما حدث لهؤلاء الشهداء من معجزات ، قاموا واعلنوا ايمانهم ، وقتلهم الولاة قبل أن ينالوا نعمة العماد . وهنا يواجهنا سؤال لاهوتي :

يسأل البعض: كيف خلص هؤلاء الشهداء بدون عماد، وكيف خلص اللص اليمين بدون عماد أيضاً ما دامت المعمودية لازمة للخلاص ؟

الجواب : لقد شرحنا سابقاً أن المعمودية في جوهرها هي موت مع المسيح . ولذلك قال بولس الرسول « اعتمدنا لموته » . قدفنا معه بالمعمودية للموت . . . فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٣-٨) . فما دامت المعمودية موتاً مع المسيح ، فإنا نقول في صراحة ووضوح ان هذا اللص قد مات مع المسيح فعلاً . . .

كذلك الشهداء قد ماتوا مع المسيح . اشتركوا معه في الموت . وفي سفك دمائهم . لذلك تسمى الكنيسة مثل هذا الموت معمودية الدم . ولو أعطيت لهؤلاء فرصة من العمر ، لتمموا معمودية الماء أيضاً .



في هذا الكتاب

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

في موضوع الخلاص ، كما في
باقى الموضوعات اللاهوتية ، لا يصلح
تقديم آية واحدة من الكتاب لإثبات
عقيدة ...

إنما يجب على الباحث أن يلم
بكل الآيات المتعلقة بالموضوع ،
ويجمعها من كافة مواضعها ، لكي
يصوغ منها كلاً متجانساً ، يتفق مع
الفهم اللاهوتي السليم ...

وفي الكتاب الذى بين يديك ،
ترى مثلاً لهذا المنهج من البحث ...

وهناك أجزاء أخرى من هذا
الكتاب ، في طريقها إليك ، لتكملة
موضوع « الخلاص » ...

شنوده الثالث

الثمان ١٠٠ قرش